الجوائح فى الأندلس

منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الخلافة

د. محمد بركات البيلى

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ازدهر الاقتصاد الأندلسى - خاصة فى عهد أمويى الأندلس - ازدهارًا عظيمًا طالما أشاد به الجغرافيون والمؤرخون من ناحية(١) وتغنى به الشعراء من ناحية أخرى حتى كان منهم من عد الأندلس جنة الدنيا(٢) وقد تنوعت مظاهر ازدهار الاقتصاد الأندلسى ، فازدهرت الزراعة وارتقت الصناعة وراجت التجارة(٣) حتى كان الأندلس صنوًا للرخاء . إلا أن هذا الاقتصاد الأندلسى الزاهر الذى ضرب المثل بازدهار لم يسلم من التعرض أحيانًا لبعض الجوائح أو الشدائد التى كانت أشبه بالبقع السوداء على الرداء الأبيض ، وعلى الرغم من أنها كانت لا تغض كثيرا من قدر ازدهار الاقتصاد الأندلسى فإنها تمثل ظاهرة اقتصادية تستحق الدراسة والتحليل .

والجائحة فى اللغة تعنى الشدة والنازلة العظيمة التى تجتاح المال(٤) ويرجع فقهاء اللغة الجوائح فى الغالب إلى أمر سماوى لادخل للإنسان فيه ولم يكن يستطيع له دفعًا كالبرد المحرق أو الحر المفرط أو الآفة ، وقد يضيف بعضهم إلى ذلك عاملاً بشريًا مثل اجتياح العدو للمحاصيل الزراعية(٥) وهم بذلك يقصرون الجوائح على الجانب الزراعى دون غيره من جوانب النشاط الاقتصادى الأخرى وسارت كتب الفلاحة على نفس النهج فقصر أبو الخير الاشبيلى الجوائح على الإنتاج الزراعى إذ قال : " قد يعرض للنبات آفات كثيرة وجوائح عظيمة مثل الخمج والقحط(*) والذبول والريح والجليد واليرقان وسقوط الورق وقلة الحمل والصر(**) والضبابات(***) ...

والقمل(•) وعدم البهائم الوحشية(••) . وغيرها ، وعدم الفأر والدود والطير والنار وغير ذلك "(٦) .

لكن الجوائح فى الأندلس كانت أوسع مجالاً من ذلك من الناحية الفعلية، فلم تكن قاصرة على الإنتاج الزراعى وإنما يشير ابن العطار فى سجلاته إلى جائحة فى ملاحة لم ينعقد ملحها ولم تنتج ملحًا(٧) كما يشير ابن سهل فى نوازله إلى أن القاضى أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس الذى تقلد قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٩٤هـ قد اعتبر تعذر الحرق لتوالى الأمطار جائحة نزلت بمقتبلى الحمامات لعجزهم عن تسخين الماء اللازم للاستحمام(٨) وعلى ذلك فإن الجوائح فى الأندلس لم تكن فقط جوائح زراعية وإنما كانت جوائح اقتصادية تنزل بمختلف جوانب النشاط الاقتصادى فى الأندلس وكانت الجوائح فى الأندلس على مستويين . أولهما : جوائح فردية محدودة لا تتعدى نطاق فرد أو بضعة أفراد ، وهذا النوع من الجوائح هو الذى تتناوله غالبًا كتب النوازل والسجلات مثل نوازل ابن سهل وسجلات ابن العطار ويستوجب حكمًا من القاضى بالتخفيف عن المتضرر من الجائحة إذا اشتكى إليه مما أصابه من ضرر وفقًا لقواعد فقهية كان معمولاً بها فى هذا الصدد . أما المستوى الثانى فهو الجوائح العامة التى قد تجتاح إقليمًا بعينه من أقاليم الأندلس أو تجتاح عموم الأندلس مؤدية إلى مسغبة عامة وغلاء ومجاعة تضر بأهل الأندلس ضررًا بليغًا وقد أرجع الأندلسيون الجوائح الفردية إلى عوامل طبيعية وبشرية وقد ذكر أبو الخير الاشبيلى جانبًا منها سبقت الإشارة إليه وأضاف ابن العطار إليها عوامل أخرى مثل الاستغدار وتوالى الأمطار واتصال الغيوث المسقطة للثمار والجراد ومعرة الجيوش والسرقة ***(٩) كما أشار ابن سهل إلى عامل نفسى هو المخافة أو الخوف الذى يتمكن من نفوس الزراع من تكرار نزول

الجيوش على زروعهم فيمتنعون عن سقيها ويهملونها لقلة العائد عليهم منها(١٠) أما العوامل المسببة للجوائح العامة فقد كانت تراكمات كمية للعوامل الطبيعية والبشرية المسببة للجوائح الفردية من ناحية فضلاً عن بعض العوامل التى تعكس الأوضاع العامة فى الأندلس من ناحية أخرى ويمكن دراسة ذلك فيما يلى :

أولاً : العوامل الطبيعية : على الرغم من أن بلاد الأندلس كانت تستمد مياها العذبة من موارد متنوعة كالأمطار والأنهار والمياه الجوفية ، فقد كانت الأمطار فى مقدمة تلك المصادر وأكثرها أهمية على الإطلاق ، لأن أنهار الأندلس مع كثرتها أنهار داخلية محصورة داخل شبه جزيرة ايبريا تستمد مياها من الأمطار التى تسقط على شبه الجزيرة وليس منها نهر عابر يجلب مياهه من خارج الأندلس وإنما تنبع تلك الأنهار كلها من داخل بلاد الأندلس(١١) ومن ثم كان أثر تلك الأنهار محدودًا فى حالة القحط لايمكنها أن تمنع حدوثه وإنما قد تخفف فقط من حدته وويلاته فى بعض الأقاليم مثلما فعل نهر برباط فى سنى المحل المنسوبة إليه والمعروفة بسنى برباط إذ لجأ إلى واديه بعض أهل الأندلس فى تلك السنى " فحمل الناس وأصابهم خصبه"(١٢) وتظهر أهمية الأمطار كمورد رئيسى للمياه العذبة فى الأندلس فى أن الجغرافيين الأندلسيين كانوا يقسمون الأندلس إلى قسمين : أندلس شرقى وأندلس غربى ، ولم يكن أساس هذا التقسيم كما يبدو لأول وهلة هو اتجاه بعض مجارى الأنهار إلى الشرق لتصب فى البحر المتوسط كنهر الإبرة واتجاه بعضها الأخر نحو الغرب لتصب فى المحيط الأطلنطى كنهر الوادى الكبير ونهر التاجة وغيرهما ، ولكن الأساس الحقيقى لهذا التقسيم هو سقوط الأمطار أو حسب قول المقرى " الشرقى منها يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربى يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وإنما قسمته الأوائل جزءين

لاختلافها فى حال أمطارهما "(١٣) وإذا كانت عناية مسلمى الأندلس بنظام الرى جعل دور الأنهار فى سقيا الأندلس يبدو ظاهريًا أكبر من حقيقته فما لبثت حقيقة هذا الدور أن تكشفت وظهر جليًا اعتماد شبه الجزيرة الأيبيرية على الأمطار اعتمادًا رئيسيًا بعد استيلاء نصارى الأسبان عليها وتدنى نظام الرى فى عهدهم عما كان عليه فى العصر الإسلامى ، فقد ذكر ابن عثمان الكناسى الذى زار أسبانيا بعد خروج المسلمين منها أنه " لم نر لهم حرثًا على ساقية منذ دخلنا بلادهم وإنما حرثهم على البعل "*(١٤) .

ومن المعروف جغرافيًا أن نحو ثلثى شبه جزيرة أيبريا فيما يعرف بأيبريا الجافة لم يكن فقط قليل الأمطار بل كان أيضًا متقلب المطر(١٥) فقد يحتبس المطر حينًا فى صورة قحط أو يسقط غزيرًا حينًا آخر فى هيئة سيل مدمر ، ونظرًا لأن الأرض الجافة Secano أو البعل كانت تختص بزراعة الحبوب فى الأندلس(١٦) فقد كان تذبذب الأمطار ما بين القحط والسيل يعوق زراعة الحبوب كليًا أو جزئيًا سواء حدث أى منهما قبل عمارة الأرض ، وزراعتها أو بعد العمارة والزراعة إبان نمو النبات فعمارة الأرض وزراعتها لا تكون إلا فى إثر مطر ينزل(١٧) فإذا احتبس المطر حال دون الزراعة " وأضر القحط بزراعتها وبطل أكثره باحتباس الغيث وجفوف الأرض(١٨) أما إذا اترك السيل واستغدرت الأرض إبان الزراعة " لا يتمكن حرثها ولا زراعتها لغلبة الماء عليها وفوات أكثر إبان الزراعة(١٩) .

وكانت للحبوب – خاصة الحنطة – أهمية كبيرة فى الاقتصاد الأندلسى حتى ذهب ابن عبدون إلى أن " فى لحظة تذهب النفوس والأموال وبها يمتلك المدائن والرجال ومطالبتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام(٢٠) . وقد يحدث القحط أو السيل إبان نمو النبات فيضربه ويذهب بجزء من محصوله ومن ثم

كان المطر فى حالتى تطرفه ما بين الاحتباس (القحط) أو شدة غزارته وتوالى سقوطه (السيل) فى مقدمة العوامل الطبيعية المسببة للجوائح العامة التى يمكن تسميتها بالأزمات الاقتصادية بالأندلس .

ونظرًا لأهمية المطر كمورد مائى أساسى فى الأندلس كان الأندلسيون إذا احتبس المطر يهرعون إلى الاستسقاء فيصلون لله ويتضرعون إليه أن ينزل عليهم الغيث ويتخذون فى صلاة الاستسقاء هيئات خاصة يظهرون بها عظيم المصيبة التى نزلت بهم من ناحية ويظهرون خضوعهم وضراعتهم لله من ناحية أخرى ، وقد قيل أن زياد شبطون - الذى أدخل موطأ مالك إلى الأندلس ولقبه أستاذه مالك بفقيه الأندلس - هو أول من أظهر فى الأندلس سنة تحويل الأردية فى الاستسقاء(٢١) لكن الأندلسيين اتخذوا من بعده هيئات أخرى للاستسقاء مثلما فعل الخليفة عبد الرحمن الناصر بعدما أمر القاضى منذر بن سعيد البلوطى بالبروز إلى الاستسقاء بالناس لقحط أصابهم آخر أيامه فتأهب القاضى لذلك فصام ثلاثة أيام تنفلاً وانابة إلى الله ورهبة ، ثم خرج ماشيًا متضرعًا مخبتًا متخشعًا(•) ليصلى بالناس فى مصلى الربض بينما مكث الخليفة الناصر بقصره منتبذًا حائرًا منفردًا بنفسه لا بسًا أخس الثياب مفترشًا التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه داعيًا الله أن يكشف الضر عن عباده(٢٢) ومثلما فعل المنصور محمد بن أبى عامر أيضًا حينما خرج ذات مرة للاستسقاء مع القاضى محمد بن يبقى بن زرب ولبوسه ثياب بيض(••) وعلى رأسه أقرف وشى على شكل أهل المصايب بالأندلس قديمًا ، قد أبدى الخشوع وهو باك ودموعه تسيل على لحيته فتقدم إلى ضياع المحراب عن يمين الإمام وقد كان فرش له هناك حصير ليصلى عليه فدفعه برجليه وأمر بنزعه وجلس على الأرض وشهد

الاستسقاء "(٥) وقد أمدتنا المصادر بأخبار عن عديد من نوبات القحط - أو المحل - التى تعرضت لها بلاد الأندلس حتى أواخر عصر الخلافة مثلما حدث فى سنة ١٣١هـ التى أصاب الأندلس فيها محل شديد عم وامتد حتى سنة ١٣٦هـ(٢٣) وفى سنة ٢٣٢هـ التى شهدت قحطًا شديدًا أصاب الأندلس فأهلك الزرع والضرع وقحط الأندلس فى سنة ٢٥٣هـ وامتد القحط إلى العام التالى(٢٤) وقحط الأندلس فى سنة ٢٧٤ هـ قحطًا شديدًا فاستسقى الناس مرارًا حتى دب فيهم اليأس ثم سقوا وارتفع عنهم اليأس(٢٥) وأمحل الأندلس فى سنة ٣٠٢هـ محلاً شديًا شمل كل الأندلس بأطرافها وثغورها فغلت الأسعار فى جميع جهاتها واستسقى الناس مرارًا(٢٦) وأمحل الأندلس فى سنة ٣٢٤هـ محلاً عامًا لم يسمع بمثله قط(٢٧) .

واذا كان أكثر ضرر القحط يحل بالنبات والزروعات فقد كانت أضرار السيول تتعدى ذلك فتهدم القرى والقناطر وتعوق الاتصال وتقتلع الأشجار وتخرب المزراع والبساتين وتفيض الأنهار منها فيضانات تخرب وتدمر مثلما فعل سيل عظيم أصاب نواحى قرطبة سنة ١٨٢ هـ فأتى على ربض القنطرة عن آخره فلم يبق فيه على دار إلا وقد هدمها وامتد ضرره إلى نواحى شقنده(٢٨) وفى سنة ٢١٢هـ تعرض الأندلس لسيول عظيمة خربت الأسوار بأكثر مدن الثغر وخرجت قنطرة سرقطة التى كانت مشهورة بصلابتها(٢٩) وبعد ذلك بنحو ثلاثة أعوام تعرض الأندلس فى سنة ٢١٥هـ لسيول عظيمة أضرت بنواحى كثيرة وفاضت منها أنهار عديدة مثل نهر شنبل الذى خرب قوسين من حنايا قنطرة استجة وخرب السدود والأرحاء الواقعة عليه ، ونهر الوادى الكبير الذى فاض فأتى فيضانه على سته عشرة قرية من قرى اشبيلية وذهب بكل ما بين اشبيلية والبحر من قرى وما فيها من أناس وبهائم وأمتعة ونهر التاجة الذى فاض فخرب فيضانه ثمانية عشرة قرية

واتسع عرضه إلى ثلاثين ميلا(٣٠) وفى سنة ٢٨٠ هـ اجتاحت الأندلس سيول استمرت عدة شهور فأهلكت المزروعات وانعدمت الأقوات(٣١) .

وتعرضت قرطبة سنة ٣٣٤ هـ لما سمى بالسيل العظيم الذى هدم جزء من قنطرتها وثلم الرصيف(٣٢) وتعرضت قرطبة أيضًا فى سنة ٤٠١هـ لسيل عظيم آخر فاض منه نهر الوادى الكبير فهدم من أرباضها نحو ألفى دار وما لا يحصى من المساجد والقناطر ومات بسببه خمسة آلاف نفس غرقًا وردمًا وذهبت فيه أمتعة الناس وأموالهم وانهدم أكثر سور قرطبة وردم أكثر الخندق المحيط به(٣٣) ولم يقتصر ضرر السيل عند ذلك وإنما كان " السيل المقيم إذا أقام كثيرًا فإنه يضر بالشجر والنبات والبقول والرياحين وربما أفسدها وذلك أنه يحدث فيها عفنًا مفسدًا اللون ومغيرًا للطعم "(٣٤) .

ونظرًا لقلة أمطار شبه جزيرة أيبريا وتذبذبها وعدم انتظام مواردها من أنهارها التى تقل مياهها خاصة فى أيام القيظ عندما يبلغ البحر ذروته(٣٥) فقد أهتم الأندلسيون بتنظيم السقيا سواء من مياه الأنهار أو من المياه الجوفية، وعنوا بنظام الرى عناية فائقة فقسموا مجارى الأنهار بين الأقاليم التى تجرى فيها فكان النهر الواحد يسمى بعدة أسماء تبعًا للحوز الذى يجرى فيه مثل نهر الوادى الكبير الذى يقال له عند إشبيلية نهر إشبيلية وعند قرطبة نهر قرطبة وعند جيان نهر جيان وحدد لكل جزء من النهر نواحى يرويها تحديدًا دقيقًا(٣٦) وأقام الأندلسيون شبكة واسعة من القنوات والسواقى ترفع إليها المياه من النهر بالنواعير وينظم انسياب المياه فيها تنظيمًا دقيقًا تشرف عليه هيئة مختصة كانت تسمى وكالة السقيا(٣٧) ويحاكم المخالف للقواعد المنظمة للرى أمام محكمة الماء التى كانت تعقد – على سبيل المثال – فى بلنسية على باب مسجدها الجامع صباح كل خميس(٣٨) .

وكثيرًا ما اعتمد الأندلسيون فى سقياهم على الآبـار والعيـون وقـد أورد المالقى كيفية تقسـيم ماء العين بين الشـركاء بالقلـد (النصيـب مـن المـاء) إذ " تؤخذ قدر نحاس فيثقب فى أسفلها وتعلق من شئ فى فناء العين أو بقربها ويوضع تحتها إناء يجتمع فيه الماء الذى يخرج منهـا ثـم تمـلأ القدر مـن أول الفجر ويجرى ماءها بقية اليوم وطول الليلة المقبلة إلى انصداع الفجر منهـا ، وكلما تنقص الماء فى القلد زيد فيه ويتصل جرية طول اليوم والليلـة ويجتمـع ذلك كله فى الإناء الذى يكون تحت القدر ثم يكال مـا فيـه مـن المـاء ويعـرف مبلغه ويقسم بين الشركاء بالقلد على قدر اشتراكهم ويعلم ما يصـير مـن كيلـة لكل واحد منهم فإذا أرادوا السقى وبدأ أحدهم باتفاق من جميعهـم وإن تشـاحوا أقرع بينهم وبدأ من تقع له القرعة فيؤخذ حينئذ ما صار للمبتـدئ بالسـقى مـن مكيلة الماء ويلقى ذلك فى القلد ويسرح ماء العين إلى أرضه من ابتداء جـرى الماء من القلد فيسقى إلى أن يذهب الماء الذى كان فى القلد فـإذا ذهـب ألقيت فى المكيلة التى صارت لغيره ثم يبتدأ بالسقى إلى أن تنقطع جرية الماء ويفعل ذلك بكل واحد منهم إلى أن ينقضى اليوم والليلة وهما الدهر كلـه كذلـك "(٣٩) ونظرًا لأهمية الآبار فى السقيا فقد عد ابن العطـار نضـوب مـاء البئر التـى تسقى منها الجنان جائحة(٤٠) .

ولم يكن تذبذب الأمطار حينًـا والسيل حينًـا آخـر هـو العـامل المنـاخى الوحيـد المسـبب للجوائـح العامـة فـى الأندلـس وإنمـا كـان مـن تلـك العوامـل المناخية العواصف العاتية أو الأعاصير التى كانت تهب أحيانًا علـى الأندلـس فتقتلع الأشجار المثمرة كالتين والزيتون والنخيل وغيرها أو تهدم الدور وتقتلع أسقف المنازل(٤١) وكان أيضًا من العوامل المناخيـة المسببة للجوائـح العامـة فى الأندلس البرد الشديد الذى قد لا يضر فقط بثمار الزيتون والكـروم وكافـة

الفاكهة والخضروات(٤٢) وإنما قد يهلك أيضًا المواشى والطير والبهائم الوحشية(٤٣) كما كان منها أيضًا الحر الشديد الذى تضر سمومه وحمار قيظه بورق التوت الذى تربى عليه دودة القز(٤٤) أو تضر بالفواكه خاصة التين الذى كان الحر يفسده فسادًا لا نفع معه(٤٥) .

وكانت الجوائح العامة - والفردية أيضًا - تنتج أحيانًا عن عوامل جيولوجية كالزلازل التى قد تهدم الدور وتحدث تشققات فى القشرة الأرضية تفور منها الآبار ويموت الناس تحت الانقاض ، ولدينا عن ذلك بعض الإشارات التاريخية - وإن تأخر بعضها عن الفترة موضع الدراسة - منها إشارة العذرى إلى " الزلازل التى ترادفت فى حومة تدمير بمدينة أوريولة وبمدينة مرسية وما بينهما وذلك بعد الأربعين وأربعمائة من الهجرة وتمادى ذلك بهم نحو عام ، كل يوم مرارًا كثيرة ، لا تخطئ من ذلك يومًا ولا ليلة إلى أن تهدمت الدور ووقعت الصوامع وكل بنيان عال ، وانهدم جامع أوريوله مع صومعته ، وانشقت الأرض فى كل ناحية من الحومة وغارت أعين كثيرة ، وحدث فى بعضها ما له رائحة منتنة(٤٦) . وأشار ابن رشد إلى زلازل بدأت بقرطبة عام ٥٦٦ هـ " وتمادت هذه الزلازل بقرطبة نحو العام شدادًا ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها ، وقتلت الزلزلة الأولى ناسًا كثيرًا بالهدم وزعموا أن الأرض انشقت بقرب قرطبة بموضع يعرف بأبدجر فخرج منه شبه رماد أو رمل "(٤٧) .

وكان أيضًا من العوامل الطبيعية المسببة للجوائح العامة فى الأندلس ما يجتاح الأراضى من جحافل الجراد(*) التى تأتى على كافة الزروع والغراسات مثلما حدث فى سنة ٢٠٧هـ صدر أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط إذ نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة " وكان سببها انتشار الجراد

بالأرض ولحسه الغلات وترديده الجهات "(٤٨) وفى سنة ٢٣٢هـ " كان القحط الذى عم الأندلس فهلكت المواشى واحترقت الكروم ، وكثر الجراد فزاد فى المجاعة وضيق المعيشة "(٤٩) . وعز القوت فى جميع بلاد الأندلس حتى اضطر الأندلسيون إلى أن يمتاروا من العدوة المغربية "(٥٠) . وفى سنة ٣٨٣هـ اجتاح الأندلس جراد كثيرًا جدًا وسرح بها وعم به الأذى والبلاء فأمر المنصور بن أبى عامر بجمعه وعقره ورصد لكل من يقوم بذلك مكافآت مجزية تشجيعًا للناس على جمعه ورغم ذلك تمادى اجتياح الجراد للأندلس نحو ثلاث سنوات حتى سنة ٣٨٣هـ(٥١) . وقد أشار العذرى إلى كثرة تعرض فحص لورقة من نواحى تدمير لجحافل الجراد التى كثيرًا ما كانت تجتاح هذا الفحص وتضر به ، وكان العقل الشعبى لأهل لورقة يعزو ذلك إلى سبب أسطورى هو فقدان طلسم على هيئة جرادة من ذهب كان وجوده يمنع الجراد عن ناحيتهم(٥٢) .

ومن العوامل الطبيعية التى كانت تتسبب فى جوائح عامة بالأندلس أسراب الطيور التى كانت تضر بالثمار فكان الطير إذا حط على التين مثل - " أذهب أكثره وأكل ما داخله وأبقى جلوده فارغة من لحميتها "(*) فكان الأندلسيون ينفرونها بالأوصاف وخيالات المآته(٥٣) . وكان منها الدود الذى يراه أبو الخير الإشبيلى " داء عظيم للشجر والخضر " ويذكر بعض أنواعه وكيفية علاجها(٥٤) وكان من هذا الدود نوع طويل أخضر اللون يسمى الكلب(٥٥) .

وكان منها أيضًا ما تتعرض له الأندلس أحيانًا من أوبئة وطواعين مثلما حدث فى سنة ١٢٩هـ التى أصاب الأندلس فيها وباء كثر منه الموت فى الناس حتى كاد الخلق - على حد تعبير ابن عذارى - أن ينقرضوا(٥٦) .

وحدث فى سنة ٣٣٨هـ طاعون توفى فيه كثير من الأندلسيين كان منهم أحمد ابن دحيم وهو على قضاء البيرة(٥٧) . وفى أول سنة أربعمائة نزل بالأندلس وباء كان ممن توفى فيه عمر بن حسين بن محمد بن نايل الأموى(٥٨) .

ولم تكن الأوبئة فى الأندلس قاصرة على البشر وإنما كانت تصيب الحيوان أحيانًا خاصة الحيوانات الحقلية التى لا غنى عنها فى الزراعة ، حتى كان البعض يشترط عند شراء البقر أن يكون حراثًا إذا اشتراه فى غير أيام الحرث أو يختبره فى الحرث إذا كان أوانه(٥٩) ولذلك كانت علة البقر جائحة تضر بالإنتاج الزراعى من ذلك إشارة العذرى إلى علة البقر بنواحى تدمير(٦٠) . وقد ذكر القروينى أن علة البقر كان بلورقة وأنها وكانت تسمى اللقيس(٦١) .

ثانيًا : العوامل البشرية :

كانت العوامل البشرية المسببة للجوائح العامة فى الأندلس متعددة ويأتى فى مقدمتها الفتن والثورات التى اندلعت فى مختلف فترات أعصر التاريخ الأندلسى فأدت إلى نشوب الحروب التى عطلت الحرث والزرع ونهب الجنود ما هو قائم من غراسات مما أضر بالاقتصاد الأندلسى ضررًا جسيمًا مثلما حدث فى الفتنة الأندليسية الأولى التى اندلعت فى عصر الولاة وعطلت الحرث والزرع فتناقصت المحاصيل ابتداء من منتصف سنة ١٢٤ هـ(٦٢) وتمادى النقص فى السنوات التالية مسببًا مجاعة زاد خطبها بوقوع وباء فى سنة ١٢٩ هـ هلك منه خلق كثير(٦٣) . وينعت صاحب الأخبار المجموعة معارك تلك الفتنة بأنها " قاطعة الأرحام " التى أعقبها الجوع الذى تزايد واشتد فى سنة ١٣٦هـ فخرج أهل الأندلس يمتارون من طنجة وأصيلا والعدوة المغربية فى الشدة (الجائحة) المعروفة بسنى برباط(٦٤) .

وكانت الفتنة الأندلسية الثانية التى اندلعت أواخر عصر الامارة وخيمة العواقب " يلخص ابن عذارى عواقبها بقوله : " فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور يعيش مجهدًا وبموت هؤلاء انقطع الحرث وكاد ينقطع النسل "(٦٥) .

أما الفتنة الأندلسية الثالثة التى اندلعت عند نهاية عصر الخلافة فقد كانت أشد ضررًا وأسوأ أثرًا إذ أعقبها قحط شديد ومجاعة عامة ووباء كثير(٦٦). ويصف ابن عذارى بعضًا مما نزل بأهل قرطبة من جراء هذه الفتنة المبيرة فيذكر أن " السعر كل يوم يزداد غلاء والأمر يتفاقم شدة والناس يتوجهون إلى السواحل والبوادى واشتد حال أهل قرطبة حتى أكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة وكان قوم فىالسجن فمات منهم رجل فأكلوه ، ومع هذه المحن فشرب الخمر ظاهر والزنا مباح واللواط غير مستور ولا ترى إلا مجاهرًا بمعصية "(٦٧) . ولقد عانت الأندلس من الحروب التى دارت رحاها بين المسلمين ونصارى الأسبان من ناحية وبين المسلمين بعضهم البعض من ناحية أخرى وكانت كثرة حركة الجيوش تتسبب فى عديد من الجوائح سواء من قيام الجيوش بتعرية الحقول مما بها من زروع أو ثمار أو قصيل(٦٨) أو امتناع الفلاحين من رعاية زروعهم والعناية بها خوفًا من تكرار نزول الجيوش عليهم(٦٩) .

وكان فساد الأسواق أو تخريبها من العوامل البشرية المسببة للجوائح العامة فى الأندلس خاصة فى المدن الكبرى المزدحمة بالسكان مثل قرطبة وأُشبيلية – وغيرهما – والتى كانت الأسواق بمثابة رئة اقتصادية لها فكان فسادها أو تخريبها يضر الناس أبلغ الضرر. وكان هذا التخريب نتيجة أسباب متنوعة مثل الحرائق خاصة الكبار منها كالحريق العظيم الذى اشتعل بسوق

قرطبة ٣٠٥هـ فاحترقت فيه أقسام عديدة من السوق منها حوانيت المشاطين والخراطين(٧٠) وحريق عظيم آخر اشتعل بسوق قرطبة أيضًا في سنة ٣٢٤هـ فاحترقت فيه مجالس الخط وامتد إلى حوانيت الصوافين والأجزاء المجاورة لمسجد أبي هارون الكائن بسوق قرطبة فتصدع بنيان المسجد وامتدت النار إلى سوق العطارين فأتت عليه وعلى ما وراءه من حوانيت الحرارين وامتدت أيضًا إلى حوانيت الشقافين وما جاور ذلك من جميع الجهات وأتت النار على دار البرد المجاورة للسوق فكان حريقًا شنيعًا(٧١) .

وقد ينتج تخريب الأسواق عن قطيع الميرة عنها وإعاقة وصول السلع إليها خاصة وقت الحروب التي تقطع الطرق وتحول دون تزويد الأسواق بما يلزمها من مؤن وبضائع فتضيق المعيشة بأهل المدن ، بينما كان توقف الحروب وعودة الأمن والاستقرار يكفلان توريد البضائع إلى الأسواق فتتحسن المعيشة ، فقد كانت عودة إبراهيم بن حجاج صاحب أشبيلية إلى الطاعة زمن الأمير عبد الله بن محمد وورود الجباية سببًا في أن صلحت أحوال قرطبة بانفتاح طريق أشبيلية إليها وكان بانفتاح وصارت سببا لانفتاح باب غربي الأندلس ودرور المعائش منه بقرطبة(٧٢) .

ولاشك أن السياسة التي كانت تنتهجها الحكومة الأندلسية في عصري الإمارة والخلافة كانت من العوامل المؤثرة في الجوائح العامة سلبا أو إيجابا، ولا يمكن القول بأن الحكومة الأندلسية على مدار العصرين المشار إليهما كانت لديها خطط واضحة ومحددة لمعالجة تلك الجوائح العامة وما ينجم عنها من أزمات اقتصادية ، فمع أنه من المفترض أن الحكومة الأندلسية كان لديها في العادة مخزون استراتيجي - إن صح التعبير - تقوم بتخزينه في الأهراء السلطانية لحين الحاجة إليه ، لكن هذا المخزون لم يكن لخدمة العامة

أو للتخفيف عنهم وقت الجوائح العامة وإنما كان للنفقات والأغراض السلطانية بصفة أساسية ، يتضح ذلك فيما أورده ابن دحية من خبر يعده سببًا لأبيات من الشعر أنشدها يحى بن حكم الملقب بالغزال(٧٣) . يقول : " والسبب فى نظم هذا الشعر أن أبا المطرف عبد الرحمن - الأوسط كان قد ولاه قبض الأعشار ببلاط مروان واختزانها فى الأهراء ، فنغق الطعام فى ذلك العام وسما السعر بالقحط سموًا كبيرًا ، فوضع يده فى البيع حتى أتى على ما كان عنده فى الأهراء ثم نزل الغيث ورخص الطعام فأعلم السلطان بما صنع الغزال من البيع فأنكره وقال : إنما تعد الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليها فى الجهد فماذا صنع الخبيث ؟ خذوه بأداء ما باع من أثمانها واشتروا به طعامًا واصرفوه فى الأهراء إلى وقت الحاجة إليه فلما طلب منه ثمن ما باع أبى من ذلك وقال إنما أشترى لكم من الطعام عدد ما بعت من الأمداد وبين المددين بون شاسع نحو من ثلاثين ألفا ... "(٧٤) .

ومما يدل على تجاهل الحكومة الأندلسية للجوائح العامة وعدم وجود مخطط واضح لديها لمعالجة تلك الجوائح ما كان من الأمير محمد بن عبد الرحمن إبان مجاعة سنة ٢٦٠هـ التى ضرب بقسوتها المثل فقد كانت سنة لم يزرع فيها بالأندلس حبة ولا رفعت ، ومع ذلك فقد أراد الأمير محمد من وليد بن غانم صاحب المدينة حينذاك أن يأخذ العشور من الرعية من مدخور أطعمتهم وأن يشترى من ليس لديه مدخور منهم من حيث ظهر له ، لكن وليد بن غانم أجاب الأمير بأن العشورعلى الغلات إذا وهبها الله وجب أداء فرضه فيها وإذا اجتثت أصولها فلا زكاة فى من حرمها وطلب من الأمير أن يراعى ما يعانيه الناس من مسبغة وأن ينفق على أجناده من المخزون فى أهرائه وأن يخفف عن الرعية ويعينهم على عمارة الأرض متى

تتحسن أحوالهم فلم يقبل الأمير محمد رأيه ، وأمر أن يجمع الرعية نصف العشور وألا يتركها لهم بالكلية فاستعفى وليد من أداء هذه المهمة واستقال من خطته فولى الأمير محمد على المدينة بدلاً منه حمدون بن بسيل الذى كان طاغيًا فظًا فجد فى تحصيل نصف العشور من الرعية وضرب الظهور وهتك الستور وقتل الأنفس بالتعليق حتى ضج الناس بالدعاء عليه فى كل جمعة فأماته الله بغتة مما جعل الأمير محمد يتراجع عن موقفه فدعا وليد بن غانم واعتذر إليه عن أخذه بخلاف رأيه وطلب منه الرجوع إلى ولاية المدينة ليصلح ما أفسده ابن بسيل لكن وليد بن غانم أبى أن يرجع إلى ولاية المدينة(٧٥) .

لكن الخلافة الأندلسية كانت تضطر أحيانا إلى التدخل إذا تفاقمت الجوائح العامة ونجم عنها ما يهدد الأمن والاستقرار ، فالأمير محمد لم يغير موقفه من العشور فى مجاعة سنة ٢٦٠هـ - كما سبق - إلا بعد ازدياد السخط العام ، ولم يتدخل أيضًا فى مجاعة شديدة أخرى حدثت فى أيامه إلا بعد أن كثرت الشكوى من كثرة تطاول المفسدين فولى على السوق حسين بن عاصم وأذن له فى القطع والصلب لمجرد الاشتباه فصلب يومئذ عدد عظيم من الفسدة(٧٦) . وهكذا لم يكن تدخل الحكومة الأندلسية فى تلك الجائحة علاجًا اقتصاديًا لأسبابها وإنما كان تدخلها مجرد ضبط أمنى وتوقيع للعقوبات على الفسدة والمجرمين .

لكننا نجد الأمراء الأندلسيين أحيانًا يخففون عن الرعية من حدة بعض الجوائح مثلما حدث فى سنة ٢٠٧هـ فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط إذ أصاب الناس فى تلك السنة مجاعة شديدة فقام الأمير عبد الرحمن باطعام الضعفاء والمساكين(٧٧) . ويبدوا أنه فعل ذلك لحداثة عهده حينذاك

بالحكم فى أول تولية الإمارة ورغبته فى تدعيم سلطانه باكتساب محبة الناس وثنائهم . أما الأمير محمد بن عبد الرحمن الذى كان متشددًا فى طلب العشور إبان مجاعة سنة ٢٦٠هـ فقد تدارك موقفه لاحقًا فى الجوائح التالية " فلما منيت رعيته بتوالى السنين عليهم أسقط لهم جملاً من العشور اللازمة لهم فنفس مخنقهم وأدخل الروح عليهم وأعانهم على ما استأنفوه من عمارتهم ... وقد أسقط عن أهل قرطبة ثلث عشورهم فى بعض سنى أزماتهم المجحفة "(٧٨) . ويبدو أن الأمير محمد قد نهج هذه السياسة الجديدة بعدما اضطربت أحوال الأندلس فى أواخر أيامه إذ يفهم من ابن القوطية أن سوء معالجة الحكومة الأندلسية لمجاعة ٢٦٠هـ المشهورة كانت من الأسباب غير المباشرة لهذا الاضطراب إذ يقول ابن القطومية بعد حديثه عن مجاعة سنة ٢٦٠" فاضطربت الأحوال فى آخر أيامه فأول فتنة حدثت عليه خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى "(٧٩) . وكان ابتداء خروج الجليقى فى سنة ٢٦١هـ(٨٠) .

ولم تختلف سياسة الحكومة الأندلسية فى عصر الخلافة عنها فى عصر الإمارة فيما يخص معالجة الجوائح العامة فلا يوجد من الأدلة ما يشير إلى وجود خطط معدة لمجابهة أمثال هذه الجوائح إلا فى زمن المنصور بن أبى عامر الذى فطن – فيما يبدو – بعد كثرة ما تعرضت له البلاد من جوائح فى أوائل أيامه إلى أهمية اتخاذ تدابير لمواجهة ما يجد منها فحرص على تخزين المؤن والأطعمة حتى كان لديه فى سنه ٣٧٤هـ مخزون هائل بلغ نحو مائتى ألف مدى ونيف(٨١) . ومع أنه لا يمكن الجزم بأن هذا المخزون كان لخدمة الاغراض غير السلطانية فقد كانت تدابير ابن أبى عامر تبدو عارضة أكثر من كونها خططًا منظمة وثابتة لمواجهة الجوائح العامة أو الأزمات الاقتصادية .

وإذا كنا نفتقد وجود خطة محددة لدى الحكومة الأندلسية لمعالجة الجوائح العامة فقد كان بعض الأفراد حريصين على تخزين الطعام لحين الحاجة إليه فقد أورد المالقى فى أحكامه مسألة عن رجل أخرج من فدان مطمر طعام وزعم أن اباه طمر فيه خمسة عشر فقيرًا ولها منذ طمرت تسع سنين(٨٢) واهتم الأندلسيون بسلامة التخزين فعنيت كتب الفلاحة الأندلسية ببيان الوسائل الناجحة فى ذلك الصدد حتى أفراد ابن العوام الاشبيلى بابًا من كتابة عنوانه " فى اختزان الفواكه الغضة واليابسة والحبوب والبذور والقطانى وادخار بعض الخضر "(٨٣) وأوضح أن البر يخزن على وجهين اما بكر من الرياح فلا تصيبه ريح وذلك بأن يجعل فى المطامير وشبهها وإما أن يعرض للرياح فتصيبه ويحول من موضع إلى موضع وذلك فى الأهراء وشبهها(٨٤) ومن قبله أوضح أبو الخير الأشبيلى كيفية تخزين الفواكة(٨٥) وفضلاً عن تخزين الأفراد لمواجهة الجوائح فقد كانت هناك مبادرات فردية نزع إليها بعض الأفراد لتخفيف حدة الجوائح العامة عن ضعفاء الأندلسين ومساكينهم ، من ذلك ما قام به يحى بن حكم الغزال -فيما سبق ذكره - من بيع الطعام الذى كان لديه بالأهراء مما جمعه من العشور التى قبضها ببلاط مروان ، ومن ذلك أيضًا أن الولد مسلمة بن الأمير محمد أمر وكيله بأن يمد الشاعر مؤمن بن سعيد حين أثقلت عليه النفقة فىشدة سنة ٢٦٠هـ المشهورة بقمح وشعير قوم ثمنة وقت الشدة بسبعمائة دينار(٨٦) . وقام يحى بن حجاج الطليطلى بتوزيع ما عنده من طعام فى بعض سنى الشدائد(٨٧) . وقام موسى ابن أحمد المرسى قاضى المرية بتوزيع الصدقات على ضعفاء المرية فى بعض السنين بعد أن أحصاهم فوجدهم فيها وفى أرباضها عشرين ألف ضعيف(٨٨) وفى بعض السنين أيضًا أمر محمد بن منظور القيسى

بخمسين قفيزا ففرقت في مساكين اشبيلية واستهجن ابن عم له كان يؤم بجامع اشبيلية أن يقوم ابن منظور بتفريق هذه الكمية في مثل هذه السنة فقال له أنما اعطيها لله(٨٩) .

على أى حال ، كان للعوامل البشرية دورها فى حدوث الجوائح العامة فى الأندلس وكثيرًا ما كانت تتضافر مع العوامل الطبيعية لتزيد من هول الجائحة وويلاتها إذ قل أن تحدث جائحة عامة لسبب واحد من تلك الأسباب وإنما تجتمع على عدة عوامل على النحو الذى يتضح من احدى نوازل ابن سهل إذ يذكر شكوى متقبلى جنات الأحباس بقرطبة من الجائحة التى نزلت بتلك الجنات فى سنة ٤٠٧هـ لعدة أسباب بعضها طبيعى وبعضها الآخر بشرى أو على حد قوله " بسبب الخشاش المتولد من الأرض لغلبة رطوبة الماء عليها شهر مارس الكائن فى العام المذكور وبسبب امتناع السقاية فى شهر أغسطس فى العام المذكور للمخالفة اللاحقة بتكرر الجيوش فى المحلة بشرقى مدينة قرطبة عند ورود العساكر مع النصارى وبسبب تكرر القتليات على الأوراق الموضوعة فيها "(٩٠) .

لقد اجتاحت بلاد الأندلس حتى أواخر عصر الخلافة عدة جوائح عامة وردت إلينا أخبار موجزة عن بعضها يمكن تتبعها على النحو التالى :

كانت أول جائحة فى الأندلس يرد خبرها فى المصادر التى وصلت إلينا تلك الجائحة التى بدأت بوادرها فى سنة ١٢٩هـ فى أعقاب الفتنة الأندلسية التى اختتمت عصر الولاة ، ففى السنة المذكورة وقع بالأندلس الوباء والموت حتى كاد الخلق أن ينقرضوا(٩١) . وتصاعدت المحنة بسبب المحل الذى عم

الأندلس منذ سنة ١٣١هـ واستحكم الجوع فى سنتى ١٣٤هـ ، ١٣٥هـ وبعض من سنة ١٣٦هـ(٩٢) وكان لهذه الجائحة نتائج خطيرة وعواقب وخيمة فقد تناقص أهل الأندلس بسبب الجوع والوباء والموتان من ناحية ونزح كثير منهم إلى العدوة المغربية من ناحية أخرى ، وأضرت تلك الجائحة بالأوضاع الاقتصادية والسياسية فىالأندلس إذ تعطل الحرث والزرع وتقطعت أوصال البلاد وانقطعت السبل فيها وتعطل البريد أو على حد قول صاحب الأخبار المجموعة " البرد قد قطعها الجوع ، فلا بريد " (٩٣) . وأضعفت الجائحة قدرة المسلمين القتالية وانشغلوا بالحرب فيما بينهم مما مكن بلايوس من السيطرة على أشتوريس ثم أخرج المسلمين عن جليقية كلها بعد أن قتل منهم الكثير وارتد المذبذبون عن دينهم فأخلى المسلمون شمال الأندلس كله دون مقاومة تذكر ليستولى الأسبان النصارى على نحو ثلث الأندلس دون كبير عناء(٩٤) . كما أضعفت الشدة الاقتصادية حكومة الأندلس المركزية وأوهنت سلطانها على مختلف النواحى خاصة سرقسطة التى حوصر فيها الصميل بن حاتم أحد قطبى الحكومة الثنائية فى الأندلس حينذاك وقعد حليفه يوسف الفهرى عن نصرته سنة ١٣٧ هـ(٩٥) وإذا كان ابن عذارى يبرر قعود يوسف الفهرى عن نصرة حليفه الصميل برغبته فى التخلص منه(٩٦) لينفرد الفهرى بحكومة الأندلس، فما لبث العام التالى - ١٣٨هـ - أن كشف عن حقيقة ضعف الفهرى والصميل معا ، إذ تمكن عبد الرحمن بن معاوية الأموى الملقب بالداخل من الأنتصار عليهما فى موقعة المصارة الشهيرة ليقيم فى الأندلس إمارة أموية وعلى ذلك فإننا نرى أن الجائحة التى اجتاحت الأندلس فى أواخر عصر الولاة قد مهدت لانهاء عصر الولاة فى الأندلس ليبدأ فيه عصر جديد هو عصر الإمارة الأموية المستقلة فى قرطبة منذ سنة

١٣٨هـ . ومع أنه لم يصلنا من جوائح عصر الولاة إلا خبر هذه الجائحة فانها أمتدت (١٢٩ - ١٣٦) لتغطى نحو ربع السعة الزمنية لهذا العصر .

أما عصر الإمارة الذى امتد لما يزيد عن قرن وثلاثة أرباع القرن (١٣٨ - ٣١٦هـ) فلم يشهد من سنى الجوائح أو الشدائد الاقتصادية التى وردت إلينا أنباؤها إلا نحو ثمانية عشرة سنة ، فإذا كانت نسبة سنى الشدة إلى سنى الرخاء فى عصر الولاة ١: ٤ فإن نسبتها فى عصر الإمارة حوالى ١ : ١٠ ومعنى ذلك أن عصر الإمارة كان أكثر رخاء وأقل شدة من عصر الولاة ولابد أن لذلك أسبابه ، إذ أصبحت الحكومة الأندلسية أقوى سلطانًا وأكثر أصبحت الحكومة الأندلسية أقوى سلطانًا وأكثر استقرارًا ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى قوة الأمراء وقدرتهم على التصدى للثوار والمنتزين من ناحية ، وطول سنى حكمهم من ناحية أخرى ، إذ لم يحكم الأندلس طيلة عصر الإمارة إلا ثمانية أمراء فقط(٩٧) .

لم يخل حكم عبد الرحمن بن معاويه الداخل أول أمراء بنى أمية فى الأندلس من القلاقل السياسية والثورات التى اندلعت هنا وهناك ومع ذلك فإن المصادر التى وصلت إلينا لا تذكر شيئًا عن الشدائد الاقتصادية طيلة إمارة عبد الرحمن الداخل وإمارة إبنه هشام الرضا وأكثر من نصف إمارة الحكم بن هشام وهى فترة طويلة تمتد لنحو ستة عقود وهو أمر جدير بالملاحظة يبدو أنه راجع إلى تناقص أهل الأندلس من جراء جائحة نهاية عصر الولاة التى سبق ذكرها مما جعل الموارد الاقتصادية للأندلس فى أوائل عصر الإمارة تكفى الباقين من أهل الأندلس وتجنبهم شر الشدائد الاقتصادية رغم القلاقل السياسية ولعل حكومة عبد الرحمن الداخل القوية وحكومة إبنه هشام الرضا المحبوب قد اتخذتا من الإجر [illegible]، ما وقى أهل الأندلس من خطر الجوائح

وويلاتها ، ولكن المصادر سكتت عن ذكر تلك الإجراءات مثلما سكتت عن ذكر الجوائح فى تلك الفترة .

وأطلت الجوائح على الأندلس من جديد فى سنة ١٩٧ هـ فى إمارة الحكم الربضى ، إذ شهد الأندلس فى تلك السنة غلاء شديدًا(٩٨) يصف ابن فضل الله العمرى عواقبه الوخيمه على الأندلس بقوله " الشدة التى عمت أرض الأندلس أجمعها ومات منها أكثر الخلق وإجتاز بعضهم البحر إلى أرض العدوة لا نتجاع خصبها وارتجاع ما فاتها بأرض الأندلس من حدتها وكان المقلون يطوفون الأيام دون تعلل بطعام "(٩٩) .

وفى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم فى - سنة ٢٠٧ هـ حلت بالأندلس مجاعة شديدة كان سببها انتشار الجراد ولحسه الغلات وتردده بالجهات فنالت الناس المجاعة وغلت الأسعار غلاء شديدًا حتى بلغ سعر المد فى بعض النواحى ثلاثين دينارًا(١٠٠) فمات كثير من الخلق(١٠١) . ومن الغريب حقًا أن إمارة عبد الرحمن الأوسط - التى تعد من أزهى أيام المسلمين فى الأندلس - قد شهدت عدة جوائح اقتصادية ، ففضلاً عن مجاعة سنة ٢٠٧ هـ فقد تعرضت بلاد الأندلس لسيول عظيمة فى سنة ٢١٢ هـ تخرب بسببها أكثر أسوار مدن الثغور الأندلسية وتهدمت قنطرة سرقسطة التى كان المثل يضرب بروعة ومتانة بنيانها لكن حكومة عبد الرحمن الأوسط أصلحت ما تهدم(١٠٢) وفى سنة ٢٣٢ هـ وقعت بالأندلس مجاعة شديدة كان سببها قحط شديد عم بلاد الأندلس فهلكت المواشى ويبست الأشجار وأحترق الكروم ولم يزرع الناس وكثر الجراد فأتى على ما تبقى من الخضرة فإزدادت المجاعة وضاقت بالناس المعيشة وتمادت المجاعة إلى العام التالى - ٢٣٣ هـ فهلك كثير من أهل الأندلس بعد أن عز القوت وغلت الأسعار غلاء شديدًا ولم يجد الناس أمامهم من سبيل لدفع غائلة الجوع إلا أن

يمتاروا من العدوة المغربيــة(١٠٣) . وفـى سـنة ٢٣٥ هـ اجتـاحت كثيرًا مـن نواحى الأندلس سيول عظيمة تخربت منها قنطرة أستجة وكثـير مـن الأرجـاء وستة عشرة قرية من قرى أشبيلية وكل المدن والقرى الواقعة بيـن حاضرتهـا والبحر وخرب نهر التاجه ثمانى عشرة قريـة وهلـك فـى ذلـك كلـه كثير من الناس والبهائم والمتاع(١٠٤) .

وفى إمارة محمد بن عبد الرحمن انقضت السنوات الأول بعد تولية سنة ٢٣٨ هـ دون أخبـار عـن جوائـح اقتصاديـة فـى الأندلس لكنهـا مـا لبثـت أن شهدت منذ سنة ٢٥١ هـ موجة عاتية من القحط الشديد توالت وتصاعدت فـى سنة ٢٥٣ هـ وازدادت تفاقما فى سنة ٢٥٤ هـ ثم فى سنة ٢٥٥ هـ ونتج عـن هذا القحط المتوالى مجاعة شديدة كانت تتمادى بتمادى القحط من سنة لأخرى واستسقى بالناس حينذاك قاضى الجماعة سليمان بـن أسـود وكـرر الاستسـقاء عدة مرات حتى سقى الناس(١٠٥) ولعـل هـذه المجاعـة هـى التـى أشـار إليهـا الخشنى والتى كثر فيها تطاول الفسدة وأذن فيها لصاحب السـوق إبراهيم بـن حسين بن عاصم بإقامة حد الحرابة على من إشتبه فيه من الفسدة كما سبق أن ذكرنـا وفى سنه ٢٦٠ هـ أصابت الأندلس مجاعـة شـديدة عمـت البـلاد ومـات فيها خلق كثير وجرى بشدتها المثل على ألسـنة النـاس زمنـا طويـلا(١٠٦) ثم تبعها غــلاء وطـاعون عظيـم أفنـى خلقًـا كثـيرًا ، وزاد مـن قسوة تلـك الشـدة الطاحنة أن أهل الأندلـس لـم يتمكنـوا من أن يمتـاروا هـذه المـرة مـن العـدوة المغربية ، إذ كانت مجاعة سنة ٢٦٠ هـ مسغبة عامة عانت منها بلدان كثـيرة من العالم الإسلامى ومنها بلاد المغرب ومصر والحجاز(١٠٧) .

وفـى إمـارة المنـذر بن محمــد قصـيرة الأمــد (٢٧٣ – ٢٧٥) وقـع بالأندلس سنة ٢٧٤ هـ قحط شديد استسقى له الناس مرارًا حتى سـقوا بعـد أن أصابهم اليأس(١٠٨) وبعد خمس سنوات من تولى الأمير عبد الله بن محمـد ،

عمت جميع بلاد الأندلس فى سنة ٢٨٠ هـ مجاعة شديدة ما لبثت أن تفاقمت حتى أكل الناس بعضهم بعضا - على حد تعبير ابن أبى زرع - وأعقب ذلك وباء شديد وموت كثير هلك فيه عدد لا يحصى من الناس حتى أنهم كانوا يدفنون من كثرتهم فى مقابر جماعية ، إذ يدفن فى القبر الواحد عدد من الموتى من غير غسل ولا صلاة لكثرة الوفيات ، ولم تقتصر تلك المجاعة القاسية على الأندلس بل امتدت إلى العدوة المغربية(١٠٩) . وبعد خمس سنوات أخرى - أى فى سنة ٢٨٥ هـ - شهدت بلاد الأندلس " الشدة التى عمتها المجاعة وعوت سعرها غلاء فأجحفت بالناس وشهر إسمها بسنة لم أظن(١١٠) وضرب بها المثل زمنا طويلاً(١١١) وفى سنة ٢٩٧ هـ وقعت بالأندلس مجاعة شديدة عمت البلاد ومات بسببها خلق كثير وعبر كثير منهم البحر إلى العدوة المغربية وجرى المثل بشدتها على الألسنة أيضًا فكان يقال لها سنة جوع جيان(١١٢) .

لا شك أن الجوائح الاقتصادية قد كثرت كثرة ملحوظة فى عهود محمد بن عبد الرحمن وولديه المنذر وعبد الله ، ولا شك أن تردى الأحوال السياسية ونشوب الفتنة الأندلسية الثانية فى أواخر عصر الإمارة كان وراء تفاقم الأوضاع الاقتصادية إذ تعطلت الجباية ونقصت الموارد فى الوقت الذى تزايد فيه تسيير الجيوش وتوجيه الحملات لمواجهة المتمردين والمنتزين فى مختلف نواحى الأندلس . وبلغت الفتنة من الخطورة ما جعل من تولى إمارة الأندلس عبئًا ثقيلًا لذلك تولى الإمارة عبد الرحمن الثالث بعد جده عبد الله سنة ٣٠٠ هـ دون معارضة من أعمامه رغم صغر سنه ولم يمض عامان على تولية الإمارة الا وقد اجتاحت الأندلس فى سنة ٣٠٢ جائحة خطيرة قلما أصيب بمثيل لها ، وقد أمدنا كل من ابن حيان(١١٣) وابن عذارى(١١٤)

بوصف مسهب لتلك الحائجة لم يتوفر لنا مثلـه عن كثير من الجوائح الأخرى ففى تلك السنة - ٣٠٢ هـ - أمحل الأندلس وتوالى القحط وعم البلاد فاستسقى بالناس الفقيه المشاور محمد بن عمر بن لبابـه صاحب الصلاة فى قرطبة حينذاك وتكرر خروجه للسقيا خمس مرات فلم ينزل الغيث وغلت الأسعار وقل ظهور الحنطة فى الأسواق ثم استسقى بالناس الفقيه أحمد بن محمد بن زياد فنزل بعض الرذاذ والندى لم يغن شيئًا وزاد القحط حدة وتمادى ليشمل الأندلس كلها : حواضرها وأطرافها وثغورها وازداد غلاء الأسعار فى جميع جهاتها(١١٥) وحلت سنة ٣٠٣ هـ والمجاعة تتفاقم والغلاء يشتد وبلغت الحاجة بالناس مبلغًا عظيمًا لم يكن لهم بمثله عهد من قبل فبلغ قفيز القمح بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير درهم دخل أربعين(١١٦) ووقع الوباء فى الناس فكثر الموتان فى أهل الفاقة والحاجة حتى كاد أن يعجز عن دفنهم وكثرت صدقات الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) على المساكين وأهل الفاقة والمستضعفين الذين لا يسألون الناس واقتدى به فى تصدقه أهل الحسبة من رجاله وفى مقدمتهم حاجبة بدر بن أحمد فنفع الله بصدقاتهم كثيرًا من أهل الفاقة ، وقد شبهت المجاعة فى سنة ٣٠٣ هـ بمجاعة سنة ٢٦٠ هـ التى كان يضرب بها المثل ، آثار سيئة على حكومة الأندلس التى أنهكتها المجاعة وعطلت جبايتها واستنفذت جزاءًا كبيرًا من مخزونها وطاقاتها وشغلتها عن الجهاد وتجريد الصوائف لمحاربة العدو الأسبانى فاكتفى عبد الرحمن الثالث (الناصر) عامئذ بتحصين الثغور وضبط الأطراف ومراقبة أهل الخلاف ، كما تسببت المجاعة والوباء الذى أعقبها فى وفاة كثير من أعيان أهل الأندلس وعلمائهم وخيارهم(١١٧) فضلًا عن عامتهم وكان منهم على سبيل المثال - أحمد بن بيطير القرطبى الذى

كان فقيها مشاورًا فى الأحكام ، توفى فى الطاعون سنة ٣٠٣ هـ(١١٨) . وفى سنة ٣١٤ هـ أصاب بلاد الأندلس قحط شديد ومحل عام فغلت الأسعار .

وضاقت بالناس المعيشة وتفاقمت الجائحة حتى أن عبد الرحمن الثالث ابن محمد لم يتمكن من الخروج للغزو فى تلك السنة بنفسه واكتفى بانفاذ صائفه يقودها الوزير عبد الحميد بن بسيل لمحاربة بنى ذى النون المارقين بالثغر فتمكن ابن بسيل من الإيقاع بهم . وتزايد القحط فاستسقى بالناس مرارًا أحمد بن بقى بن مخلد صاحب الصلاة حينذاك وأنفذ عبد الرحمن الثالث كتبا إلى نواحي الأندلس يأمر أهلها بالاستسقاء ففعلوا ذلك مرارًا حتى من الله عليهم بالغيث(١١٩) .

شهد عصر الخلافة الذى بدأ في سنة ٣١٦ هـ وامتد لقرن ونيف من الزمان عددا من الجوائح في نحو ثلاثة عشرة سنة تقريبًا أى أن نسبة سنى الشدة إلى سني الرخاء في هذا العصر حوالى ٨ : ١ بمعنى أن عصر الخلافة في الأندلس كان أقل رخاء من عصر الإمارة وعانى من الشدائد أكثر منه ويبدو أن العوامل الطبيعية كانت وراء معظم تلك الأزمات في أول ذلك العصر لكن العوامل البشرية عند نهايته كانت أكثر تأثيرًا بسبب القلاقل التى نجمت عن الفتنة المبيرة التي شهدتها نهاية عصر الخلافة .

ففى سنة ٣١٧ هـ ظهر القحط بالأندلس وعم المحل جميع النواحى فغلت الأسعار وضاقت بالناس سبل المعيشة فأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بالاستسقاء فاستسقى الناس مرارًا دون جدوى واستمر القحط حتى اتهم الناس أنفسمهم وندمواعلى فعالهم وكتب الخليفة الناصر إلى جميع عمال الكور أن يستسقوا جمعيًا فى يوم واحد وعلى هيئة واحدة لكن السماء لم تستجب لهم وتكرر الاستسقاء حينًا فى جامع قرطبة وحينًا آخر فى مصلى الربض

أو مصلى المصارة(١٢٠) لكن السماء ظلت ممسكة عن الغوث زمنًا(١٢١) حتى ضاقت بالناس المعيشة وساءت أحوالهم . وفى سنة ٣٢٤ أمحلت بلاد الأندلس محلا عاما قلما شهدت له مثيلاً من قبل إذ ضنت السماء بمائها فلم تسقط قطرة واحدة منه طيلة العام(١٢٢) وزاد الطين بله فى قرطبة أن سوقها تعرض فى نفس العام لحريق هائل أتى على معظم السوق(١٢٣) فكان من المتوقع أن تنتاب البلاد جائحة حادة - كما هو المعتاد فى مثل هذه الأحوال - لكن ابن حيان يذكر - وهو يتعجب - أن الأسعار لم ترتفع بل بقيت النعم ظاهرة - على حد قوله - ووردت الأخبار من كل جهات الأندلس تتحدث عن الرخاء(١٢٤) واذا كنا نعجب مع ابن حيان لمثل هذه الأحوال غير المتوقعة بعد ذلك المحل العام فلا ينبغى أن نغفل عن اسبابها ، وأغلب الظن أن حكومة الخليفة الناصر كانت قد تمكنت حينذاك - بعد استقرار الأحوال السياسية فى الأندلس - من اتخاذ التدابير التى تدفع عن البلاد هول المجاعة وويلاتها غير أن هذه التدابير لم تمنع حدوث بعض الجوائح فى خلافة الناصر لدين الله . ففى سنة ٣٣٠هـ توقف نزول الغيث آخر شهر ديسمبر ٩٤٢م بنواحى قرطبة فأصابها قحط وجدب أدى إلى توقف الحرث ووجب الاستسقاء فاستسقى بالناس يومذاك قاضى الجماعة وصاحب الصلاة بقرطبة محمد بن عبد الله بن أبى عيسى لكن القحط تمادى فأدى ابن أبى عيسى صلاة الاستسقاء سبع مرات يبرز لها حينًا إلى مصلى المصارة وحينًا آخر إلى مصلى الربض حتى سقى الله الناس يوم السبت للبروز السابع الذى كان فى يوم الجمعة منتصف جمادى الأول ٣٣١هـ / الرابع من فبراير ٩٤٣م ونزل غيث مستمر روى الأرض وزرع الناس فانحطت الأسعار بعد ارتفاعها وانكشفت الغمة وارتفعت عن الناس الشدة(١٢٥) . وفى سنة ٣٣٢هـ وقعت

بقرطبة فى ليلة الاثنين لتسع خلون من ذى القعدة زلزلة عظيمة دامت ساعة بعد العشاء الآخرة وبلغت من القوة مالم يحدث له مثيل من قبل فى الأندلس ففزع الناس فزعًا شديدًا ولجأوا إلى المساجد يتضرعون إلى الله أن يكشف عنهم البلاء ثم هبت فى صبيحة اليوم التالى عاصفة عاتية

اقتلعت أشجار الزيتون والتين والنخيل وغيرها من الأشجار وأطاحت بأسقف المنازل وقتلت الوحش والطير والمواشى وأتلفت الزرع وأساءت التأثير(١٢٦) وهبت العواصف مرة أخرى فى مطلع سنة ٣٣٣هـ ونزل على نواحى قرطبة برد غليظ (١٢٧) وفى سنة ٣٣٤هـ حدث السيل العظيم بقرطبة فارتفع النهر عاليًا وهم جزء من القنطرة وثلم الرصيف(١٢٨) . وفى سنة ٣٣٥هـ حدث بقرطبة قحط شديد(١٢٩) ، ووقع بالأندلس سنة ٣٣٨هـ طاعون كان ممن توفى فيه الفقيه أحمد بن وهبه القرطبى الذى كان الخليفة الناصر قد ولاه أحكام القضاء بطليطلة وتوفى فى هذا الطاعون أيضًا أحمد بن دحيم وكان على قضاء البيرة وبجاية وتوفى فيه أيضًا آخرون منهم أحمد بن عبد البربن يحى ومحمد بن عبد الله بن أبى دليم وإسماعيل بن ناصح المخزومى(١٣٠) ويشير كل من النباهى(١٣١) والمقرى(١٣٢) إلى قحط أصاب بلاد الأندلس أواخر خلافة الناصر فأمر الناصر قاضى الجماعة يومذاك منذر بن سعيد البلوطى أن يبرز إلى الاستسقاء فبرز فى جمع عظيم إلى مصلى الربض بينما صعد الخليفة الناصر ليشارف الناس ويشاركهم فى الضراعة إلى الله وقد لبس أخس الثياب وافترش التراب يرمد به على رأسه وعلى لحيته ويبكى ويعترف بذنوبه.

لكن هذه الجوائح العامة فى خلافة الناصر والتى كان معظمها فيما بين سنتى ٣٣٠-٣٣٨هـ / ٩٤٢-٩٥٠م لم تغض من شأن الاقتصاد الأندلسى فى

خلافة الناصر الطويلة (٣١٦-٣٥٠/ ٩٢٩-٩٦١) إذ كان الاقتصاد الأندلسى حينذاك فى أحسن حالاته وشهد الأندلس ما يسميه البعض بالثورة الزراعية(١٣٣) وبلغت جباية الأندلس بلغت فى عهده خمسة ملايين وأربعمائة ألف وثمانية آلاف دينار حصلت من الكور والقرى فضلاً عن سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار استخلصت من الأسواق(١٣٤) وهو مالم تصل إليه جباية الأندلس فى أى فترة أخرى من تاريخه الإسلامى .

تولى الحكم المستنصر الخلافة بعد وفاة أبيه الناصر فى رمضان سنة ٣٥٠هـ / أكتوبر ٩٦١م وورث أوضاعًا اقتصادية ممتازة ومع ذلك أطلت الشدائد برأسها من جديد فى سنة ٣٥٣هـ إذ تعرضت قرطبة لمجاعة عظيمة يبدو أنها كانت نتيجة قحط شديد ، يدل على ذلك أن المجاعة توقفت بنزول الغيث فى السنة التاليه وإذا كانت المصادر التى وصلت إلينا قد سكتت عن وصف تلك المجاعة وسوء تاثيرها على أهل الفاقة فإنها لم تسكت عن الإشادة بدور الحكم المستنصر فى اعانة ضعفاء الناس ومساكنهم بما يقيم أودهم وإنفاقه عليهم بكل ربض من أرباض قرطبة والزهراء(١٣٥) على النحو الذى يمكننا أن نعده استمرارًا للتدابير التى أشرنا إليها سابقًا فى خلافة أبيه الناصر.

ويبدو أن بلاد الأندلس قد شهدت شدة اقتصادية فى سنة ٣٦١هـ إذ غلا السعر فى هذه السنة(١٣٦) ويبدو أن ذلك كان ناجمًا عن بعض الظروف الطبيعية السيئة ، فقد حدثت زلزلة فى يوم الثلاثاء ٢٧ من صفر ثم أمطرت السماء مطرًا وابلا لنحو أسبوع من يوم الخميس ٢٩من صفر حتى يوم الأربعاء ٦ ربيع الأول وهاجت رياح شداد ثم عواصف نكباء شديدة الهبوب ثم انهمرت أمطار شديدة باردة ونزل الثلج بأقاليم قرطبة وكورها وزاد النهر(١٣٧) ويبدو أن ذلك قد أضر بالزرع مما سبب غلاء الأسعار المشار

إليه . وشهدت سنة ٣٦٢هـ ظروفًا جوية سيئة أيضًا ، ففى العاشر من جمادى الآخرة الموافق لمنتصف مارس هاجت رياح شديدة وأنواء غليظة متوالية أعقبها الغيث الذى روى به الثرى لكن الغيث أقصر على نحو خيف على الزرع منه ، فاستسقى الخطيب محمد بن اسحاق بجامع قرطبة والخطيب محمد بن يوسف قاضى قبرة بجامع الزهراء فاجتهدا فى الدعاء لكن القحط استمر ، ثم نزل فى ليلة الأحد ٧رجب بقرطبة وما يليها جليد أسود لمدة ثلاث ليال فساء تاثيره وامتد إلى بعض الكور القريبة من قرطبة فأحرق كثيرًا من الكروم وشجر التين وغيره ، وكأن أكبر ضرره فى البطون والوهاد وعاود الخطيبان المذكوران الاستسقاء بالجامعين يوم الجمعة ١٢من رجب فلم تجد السماء بالسقيا حتى تفضل الله بالسقيا بعد ذلك واستنقذ الزرع برحمته(١٣٨) ويبدو أن ما نتج عن ذلك من هزة اقتصادية جعل الحكم المستنصر يخفف عن كاهل الناس بعض الإلتزمات المفروضة عليهم رفقًا بهم(١٣٩) . وعلى من حدوث بعض الأحوال الجوية السيئة فى سنة ٣٦٣هـ(١٤٠) وفى سنة ٣٦٤هـ(١٤١) إلا أنه لم تحدث فيها هزات اقتصادية ملحوظة وربما يرجع ذلك إلى نزول الغيث من جهة واهتمام الحكم المستنصر بالتخفيف عن رعيته من ناحية أخرى خاصة بعد اعتلاله فى سنة ٣٦٤هـ قبل عامين من وفاته سنة ٤٦٦هـ ، إذ قام الحكم المستنصر باسقاط سدس جميع مغرم الحشد عن جميع رعيته فى سنة ٣٦٤هـ(١٤٢) ويبدو أن عصر الحكم المستنصر كان كعصر أبية الناصر متميزًا بالرخاء وقلة الشدائد الاقتصادية الحادة .

لم تشهد اوائل خلافة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر جوائح عامة جديرة بالذكر على الرغم من أنه كان غلامًا صغيرًا يمارس الأوصياء السلطة باسمه ثم انفرد المنصور محمد بن أبى عامر بالوصاية والسلطان وحجب

هشام المؤيد اسمًا وفعلاً حتى عرفت أيامه هو ونبيه من بعده بالدولة العامرية
وقد أصابت الأندلس فيعهد المنصور بن أبى عامر بعض الشدائد الإقتصادية
ففى أوائل أيامه حين كان محمد بن يبقى بن زرب قاضياً أصاب الأندلس
محل شديد جعل القاضى ابن يبقى يبرز للاستسقاء عشر مرات حضر
المنصور بن أبى عامر واحداً منها - على الأقل - وهو يرتدى ثياباً بيضاء
وعلى رأسه أقرف وشئ أغبر على شكل أهل المصايب حسبما أشرنا من قبل
لكن الغوث أبطأ على الناس مما أدى إلى هياج العامة(١٤٣) . وأصاب الأندلس
أيضاً قحط شديد فارتفع السعر بقرطبة حتى بلغ ربع الدقيق دينارين وهو ما يعد غلاء
فاحش آنذاك فضاقت بالناس المعيشة وجلا كثير منهم عن مواضعهم لولا أن
نزل الغيث فى يوم كان المنصور بن أبى عامر قد أعد فيه صنيعاً لختان ابنه
عبد الرحمن فاستبشر الناس وسر لذلك المنصور بن أبى عامر(١٤٤) .

دفعت تلك الجوائح الاقتصادية المنصور بن أبى عامر إلى اتخاذ تدابير
لمواجهة مايجد منها فحرص على تخزين الأطعمة والمؤن حتى كان لديه فى
سنة ٣٧٤هـ مخزون هائل منها يبلغ مائتى ألف مدى ونيف ، ويبدو أن
المنصور اغتر يوماً بهذا المخزون الهائل الذى فى حوزته من الميرة وتوهم
أنه أكبر من مخزون نبى الله يوسف عليه السلام الذى اختزنه بمصر
لمواجهة السنوات السبع العجاف التى تنبأ بها لكن ابن أبى عامر ما لبث أن
اكتشف خطأ توهمه إذ تعرضت بلاد الأندلس لعدد من السنوات العجاف أتت
على مخزونه باتصال الانفاق وعدم الاغتلال ، وقد بدأت تلك السنوات
العجاف بمجاعة فى سنة ٣٧٨هـ(١٤٥) ثم ازدادت فى العام التالى - ٣٧٩هـ
- وتمادت بعد ذلك لنحو ثلاث سنوات حتى سنة ٣٨١هـ التى تفاقمت فيها
الشدة الاقتصادية نتيجة لكثرة الجراد الذى عم الأندلس فى تلك السنة وسرح

بها ثلاث سنوات أخرى حتى سنة ٣٨٣هـ على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها المنصور بن أبى عامر للحد من خطر ذلك الجراد حتى أنه استنفر الناس لجمعه وعقره ورصد لمن يقوم بذلك مكافآت سخية وأفرد لبيعه جانبًا من سوق قرطبة(١٤٦) ، وقد أدت تلك السنوات العجاف التى امتدت لنحو خمس سنوات إلى ازدياد حرص المنصور بن أبى عامر على زيادة مخزونه الاستراتيجى(١٤٧) .

يبدو أن التدابير التى اتخذها المنصور بن أبى عامر قد أتت أكلها بقية أيامه وأيام ابنه المظفر الذى وصفت أيامه بأنها كانت " أعيادًا فى الخصب والأمان دامت سبع سنين"(١٤٨) ، لكن الجوائح الاقتصادية أطلت برأسها من جديد على بلاد الأندلس على رأس القرن الخامس الهجرى نتيجة الأوضاع السياسية المتردية والفتنة التى اندلعت فى الأندلس منذ أيام شنجول بن المنصور بن أبىعامر وهى الفتنة الأندلسية الكبرى التى خلفت الأندلس أشلاء ممزقة فيما يعرف بدويلات الطوائف .

لم يقتصر ضرر الفتنة الأندلسية الكبرى على الأوضاع السياسية وإنما امتد ضررها إلى الأحوال الاقتصادية فى بلاد الأندلس ، فقد أهدرت مواردها وامكانياتها الاقتصادية وعطلت الحرث والزرع وخربت المزارع والبساتين فنزلت بالبلاد شدة اقتصادية عنيفة يصف ابن عذارى جانبًا منها بقوله " السعر كل يوم يزداد غلاء والأمر يتفاقم شدة والناس يتوهجون إلى السواحل والبوادى واشتد حال أهل قرطبة حتى أكل الناس من مذابح البقر والغنم وأكلوالميتة ، وكان قوم فى السجن فمات منهم رجل فأكلوه ومع هذه المحن فشرب الخمر ظاهرة الزنا مباح واللواط غير مستور ولا ترى إلا مجاهرًا بمعصيتة "(١٤٩) ويضيف ابن عذارى " وجاء عيد الفطر فلم يقدر أحد منهم

يخرج إلى المصلى وصلوا فى الجامع جزعا وخوفًا وعظم البلاء على أهل قرطبة ووقعت نار فى سوق الخشابين فأحرقت اسواق كثيرة ونهب العبيد ما لم تحرقة النار "(١٥٠) وزاد الطين بلة أن حدث فى سنة ٤٠١هـ سيل عظيم فاض منه نهر الوادى الكبير حتى هدم من أرباض قرطبة - وحدها- نحوا من ألفى دار وما لا يحصى من المساجدا والقناطر ردمًا وغرقًا وذهبت فيه امتعة الناس وأموالهم وهدم أكثر السور وردم كثير من الخندق(١٥١) . وفى نفس العام اجتاح قرطبة طاعون مات فيه أبو بكر بن حزم أخو أبى محمد على بن حزم الإمام الأندلسى المعروف(١٥٢) .

كانت الشدة الاقتصادية التى نزلت بالأندلس فى مطلع القرن الخامس الهجرى قبيل نهاية عصر الخلافة القرطبية شدة عنيفة تضافرت على احداثها عدد من العوامل البشرية والطبيعية - على نحو ما أشرنا - ولعله مما يدل على قسوتها تلك النتائج التى ترتبت عليها والتى يشير البكرى إلى جانب منها يخص قرطبة فيقول " عفت الفتنة التى كانت على رأس سنة أربعمائة من الهجرة واستمرت إلى وقتنا هذا وهو سنة ستين وأربعمائة أثار هذه القرى - قرى قرطبة - وغيرت رسوم ذلك العمران فصار أكثرها خلاء يندب ساكينه "(١٥٣) ويبكى ابن حزم قرطبة ودور أهله فيها والتى كانت ببلاط مغيث فى الجانب الغرب منها " فامحت رسومها وطمست اعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى وصارت صحارى مجدية "(١٥٤) ويشير ابن بسام إلى أثرها فى خراب باجة على قدم بنائها قبل الفتح الإسلامى واتصال عمرانها بعده حتى خربتها الفتنة(١٥٥) .

هكذا كانت الجوائح الاقتصادية فى بلاد الأندلس حتى نهاية عصر الخلافة وإذا كانت اسبابها قد تعددت وتنوعت ما بين طبيعية وبشرية فقد

تعددت أيضًا نتائجها وتنوعت ما بين اجتماعية وسياسية وثقافية فقد أدت المجاعات وما اعقبها من أوبئة إلى هلاك الناس(١٥٦) وقلة سكان الأندلس حتى خف سكان الأندلس فى بعض الاحيان(١٥٧) مما كان يضعف قدرات الأندلس الدافعية وأوقف تسيير الجيوش لردع المنتزين(١٥٨) وأدت الجوائح إلى اهتمام الحكومة الأندلسية ببناء الاهراء السلطانية لتخزين الغلال خدمة للأغراض السلطانية مثلما بنى الأمير محمد بن عبد الرحمن أهراء حصن استيرش لغلال مدينة سالم(١٥٩) التى كانت حينذاك قاعدة تمركز الجيوش الأندلسية للدفاع عن الثغر الأندلسى . وكان توالى سقوط الامطار وغزارتها يعطل الخدمة الادارية ويعوق رجال الادارة عن اداء مهامهم كما كان تفاقم الغلاء والمجاعة يؤدى إلى زيادة نشاط الفسدة والمجرمين(١٦٠) الذين لا يرتدعون إلا إذا كانت قبضة الحكومة قوية . وكان للجوائح أيضًا آثار فقهية مثل ظهور سنة تحويل الأردية فى الاستسقاء الذى صاحبه جدل فتهى لم يحسم إلا بعد أن أكد شيوخ المالكية شيوع هذه السنة فى المشرق الإسلامى(١٦١) وفضلاً عن هذا فقد امتدت نتائج الجوائح إلى الناحية الثقافية اذ وصلتنا بعض النماذج الادبية التى يصف بعضها "صفة المطر بعد القحط"(١٦٢) أو يكنى بعضها عن الكرم بالغيث بعد المحل(١٦٣) . وعلى الرغم من هذه النتائج فإن الجوائح الاقتصادية لا يمكنها النيل من الصورة المشرقة للازدهار الذى كان عليه الاقتصاد الأندلسى خاصة فى الفترة المشار إليها منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الخلافة .

هوامش البحث

(١) انظر على سبيل المثال : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٠٤ والزهرى : الجغرافية ، ص٨٠ ، والحميرى : الروض المعطار ، مادة أندلس ، وأبو حامد الغرناطى : تحفة الألباب ، ص ٢٠٠ ، والمقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ١٢٧ ، ص١٤٠ ، ص١٨٧ ، ص١٩٣ ، ص١٩٩ وابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط) ، السفر الثانى ، ص ١٩ .

(٢) مثل الشاعر ابن خفاجة الأندلسى إذ أنشد :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا فى دياركم ولو خيرت هذه كنت أختار

(ديوان ابن خفاجة الأندلسى ، وأحمد مختار العبادى : الزراعة فى الأندلس وتراثها العلمى ، ندوة الإسكندرية /١٩٩٤ ، ص١٠٧) .

ومثل الشاعر ابن سفير المرينى يجعل من الأندلس روضة الدنيا إذ أنشد :

فى أرض أندلس تلتذ نعماء ولايفارق فيها القلب سراء

وليس فى غيرها بالعيش منتفع ولا يقوم بحق الانس صهباء :

فيها خلعت عذارى ما بها عوض فهى الرياض وكل الأرض صحراء

(عبد الله أنيس الطباع : القطوف اليانعة ، ص٣٠٣) .

(٣) Leavi - provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane,Tom .3 Paris 1967 p.p 233-324.& Emilio Mitre del la Espana medieval Madreed 1997,pp 69-70.&Luis Sourez Fernandez
Historia des Espana , Antiguay Medie. Madrid 1967 p.p292-301

(٤) لسان العرب ، ماده جوح .

(٥) لسان العرب : مادة جوح والمالقى ، والأحكام ص ٣١٦ .

وقد جاء فى سنن أبى داود (باب فى تفسير الجائحة) أن الجوائح كل ظاهر مفسد من مطر أو برد أو جراد أو ريح أو حريق .

(•) القحط : احتباس المطر .

(••) الصر : شدة البرد .

(*) الضبابات : من ضبته الشمس والنار أى لفحته ولوحته وأحرقته .

(**) القمل : قملة الزرع دويبة تطير كالجراد فى حلقه الحلم . ومثل القملشىء يقع فى الزراع ليس بجراد فيأكل السنبله وهى عفنه قبل أن تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له .

(***) من هذه البهائم الوحشية كانت القنبليات أى الأرانب البرية وقد كانت ايبيريا معروفة قديمًا بأرض الأرانب .

(٦) أبو الخير الأشبيلى كتاب الفلاحة ص ٦٢ .

(٧) ابن العطار : الوثائق والسجلات مدريد / ١٩٨٣ ص٤٠٣ .

(٨) ابن سهل وثائق فى شئون الحسية فى الأندلس ص ٧٣ .

(٩) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٣٨٤ - ٣٩٠ .

(*) السرقة المشار إليها عند ابن العطار هى السرقة فى الثمرة لكن المالقى (الأحكام ص ١٧٧) يفيد أن سرقة الدراهم نازلة ومن ثم فهى تدخل فى باب الحوائج الفردية.

(١٠) ابن سهل : المصدر السابق ص٦٣ .

(١١) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٢٩ .

(١٢) العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ١١٨ .

المحل : الجدب وهو انقطاع المطر وهو أيضًا الشدة والجوع الشديد .

(١٣) المقرى : نفخ الطيب ، جـ ١ص ١٣٢ .

(١٤) ابن عثمان الكناسى : الأكسير فى أفتكاك الأسير ، ص٣١ .

(*) البعل : الأرض المرتفعة لايصيبها مطر إلا مرة واحدة فى السنة .

وقيل : الأرض لايصيبها سيح ولا سيل . وقيل البعل : كل شجر أو زرع لا يسقى .

(١٥) كولان : الأندلس ، (كتب دائرة المعارف الإسلامية) ، بيروت / ١٩٨٠ ص٦٤ .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٩٩ .

(١٧) ابو الخير الأشبيلى : المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(١٨) ابن العطار : المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .

(١٩) نفس المصدر ص ٣٨١ .

(٢٠) ابن عبدون رسالة فى القضاء والحسبة ص ٥ .

(٢١) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٧ وعياض : ترتيب المدارك ، جـ ١ص ٣٥٠ .

يبدو أن أهل الأندلس قد استهجنوا فى البداية - وعلى رأسهم صاحب الصلاة بقرطبة وقتذاك المصعب بن عمران - تحويل الرداء فى الاستسقاء ولكن فقهاء المالكية الأندلسيين الذين خرجوا إلى المشرق بعد زيادشطون قد عادوا ليؤكدوا لأهل الأندلس شيوع هذه السنه فى المشرق وكان منهم يحيى بن يحيى الليثى الذى ذكر أنه وجد سنة تحويل الأردية كان لأخذهم إياها معروفة فاشية فى المشرق ويبدو أن اعتداد المدنيين بسنة تحويل الأردية كان لأخذهم إياها عن حديث عبد الله بن زيد المازنى الانصارى الذى انفرد به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى فى صحيح البخارى (جـ١ ص١٢٤ وسنن جـ١ ص٣٦٠ وسنن النسائى جـ٣ ص١٦٣) .

(*) كانت هذه الهيئة مستحبة فى الاستسقاء بالأندلس انظر عن ذلك .

النباهى : المرقبة العليا ص٧٠ وقارنه بما جاء عن صلاة الاستسقاء لدى الغزالى (احياء علوم الدين) جـ١ ، ص٢٣٩ .

(٢٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٢ص١٠٨ - ١٠٩ .

(*) كان البياض لباس الحزن فى الأندلس .

(**) النباهى : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٢٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ص٣٨ ، وابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٤٩٢ .

(٢٤) ابن حيان : المصدر السابق ص٢٣١ ، ص٣٢٤ .

(٢٥) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص١١٩ .

(٢٦) نفس المصدر جـ٢ ص١٦٦ وابن حيان : المقتبس ، نشر شالميتا جـ٥ ص٦٧ .

(٢٧) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٥٩ .

(٢٨) نفس المصدر ، جـ٢ ص٧٠ وابن الأثير الكامل ، جـ٦ ص١٦٢ .

(٢٩) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق مكى ص١ وابن عذارى المصدر السابق جـ٢ ص٨٩ . وابن الأثير الكامل جـ٧ ص٣٥ وابن أبى زرع الانيس المطرب بروض القرطاس ص٩٦ .

(٣٠) ابن حيان : المصدر السابق ص٢٣١ ، ص٣٢٤ .

(٣١) بوتشيش : المرجع السابق ص١١ .

نقلاً عن ابن عاصم : جنة الرضى فى التسليم لما قدر الله ورضى ، مخطوط ص٧٩ .

(٣٢) ابن حيان : المقتبس ، نشر مكى ، ص٥ .

(٣٣) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٣ ص١٠٥ .

(٣٤) ابن العوام : الفلاحة ، جـ١ ص٥٩٧ .

(٣٥) كولان المرجع السابق ص٦٥ .

(٣٦) حسين مؤنس فجر الأندلس ص٥٩١ - ٥٩٢ .

(37) Dozy; Supplement aux dictionnaries arabes. Beyrouth 1968 pp. 664-665 & Levi - provencal Espagne musulmane aux eme Siecle. Paris 1932 p. 166.

(٣٨) حسين مؤنس : رحلة الأندلس ص٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣٩) المالقى : الأحكام ص١٢٢ .

(٤٠) ابن العطار : المرجع السابق ص٣٩١ ، ٤٠١ .

(٤١) ابن حيان : المقتبس ، نشر الحجى ص١٥٤ وابن عذارى : المصدر السابق جـ٣ ص٣١١ .

(٤٢) ابن العطار : المصدر السابق ، ص٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٤٣) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٣ ص٣١١ .

(٤٤) ابن العطار : المصدر السابق - ص٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٤٥) نفس المصدر ص٣٩٧ ، ٣٩٩ .

(٤٦) العذرى : المصدر السابق ، ص٨

(٤٧) ابن رشد : الآثار العلوية ، ص٤٤ .

(*) يقسم أبو الخير الأشبيلى (ص٧٠) الجراد إلى نوعين : دراج وطائر .

(٤٨) ابن حيان : المقتبس ، نشر مكى ، ص٩٣ .

(٤٩) نفس المصدر، ص١ .

(٥٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٩٦ .

(٥١) نفس المصدر ، ص٢ .

(٥٢) العذرى : المصدر السابق ، ص٢ .

والقزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٥٦ تبدو أن الطلاسم كان معتدًا بها فى الأندلس فقد أشار أبو الخير الأشبيلى فى عدة مواضع (ص٥٠ ، ص٦٨) إلى الطلاسم كوسيلة للحفاظ على الغراسات .

(*) ابن العطار المصدر السابق ص٣٨٢ - ٣٩٩ .

(٥٣) ابو الخير الأشبيلى ، المصدر السابق ، ص٦٦٥ .

(٥٤) نفس المصدر ، ص٦٣ وما بعدها .

(٥٥) ابن العوام : المصدر السابق ص ٦٢٩.

(٥٦) البيان المغرب جـ٢ ص٣٧ .

(٥٧) عياط : ترتيب المدارك ، جـ٢ ص١٦١ .

(٥٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ص٣٩٦ .

(٥٩) المالقى : الأحكام ص٢٩٢ .

(٦٠) نصوص عن الأندلس ، ص٢ .

(٦١) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٥٦ .

(٦٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٤٧ .

(٦٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص٣٧ .

(٦٤) أخبار مجموعة : ص ٦١ - ٦٢ .

ومحمد بن شريفه : مقدمة كتاب أمثال العوام فى الأندلس للزجالى ص ١٥٨ .

(٦٥) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ، ص١٢١ .

(٦٦) ابن أبى زرع : المصدر السابق ص١١٦ .

(٦٧) البيان المغرب ، جـ٣ ص١٠٥ .

(٦٨) ابن العطار ، المصدر السابق ، ص٣٨٥ - ٣٨٧ .

(٦٩) ابن سهل : وثائق فى شئون الحسبة ص٦٢ .

(٧٠) ابن حيان : المقتبس ، نشر شالميتا ، جـ٥ ص٩٤ .

(٧١) نفس المصدر جـ٥ ص٢٥٩ .

يبدو أن احتراق دار البريد فى هذا الحريق جعل الخليفة الحكم المستنصر يوافق لاحقًا على نقل دار البرد إلى المصارة بطرف قرطبة والسماح للبزازين بإقامة حوانيت لهم فى موضعها لتوسيع سوقهم بعد شكواهم من ضيقها (المقتبس ، نشر مكى ، ص٦٦)

(٧٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص١٢٣ وابن حيان : المقتبس تحقيق إسماعيل العربى ص١٥٤ .

(٧٣) هذه الأبيات هى :

إن تـرد المـال فإنـى امـرؤ لم أجمـع المـال ولـم أكسـب

اذا أخـذت الحـق منـى فـلا تلتمـس الربـح ولا ترغـب

قـد أحسـن الله إلينـا معـا أن كان رأس المـال لم يذهب

(٧٤) المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص١٢٨ .

(٧٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر مكى ، ص١٢٧ وابن القوطية : المصدر السابق ص١٠٠ .

(٧٦) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص١٠٣ .

(٧٧) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٩٣ .

(٧٨) نفس المصدر ، ص٢٧٣ .

(٧٩) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٠٠ .

(٨٠) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٣٤٣ .

(٨١) ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ص٩٩ .

(٨٢) المالقى : الأحكام ص١٢٤ .

(٨٣) ابن العوام : الفلاحة جـ١ ص٦٦٠ .

(٨٤) نفس المصدر جـ١ ص٦٧٨ .

(٨٥) أبو الخير الأشبيلى : الفلاحة ص١٧٨ وما بعدها .

(٨٦) ابن حيان : المصدر السابق ص٢١٢ .

(٨٧) عياض : ترتيب المدارك جـ٢ ص١٦١ .

(٨٨) العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص٨٦ .

(٨٩) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ص٥٤٩ .

(٩٠) ابن سهل : المصدر السابق ، ص٦٢ .

(٩١) ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٣٧ .

(٩٢) نفس المصدر : جـ٢ ص٣٨ وأخبار مجموعة ص٦١ وابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٤٩٢

(٩٣) أخبار مجموعة ، ص٧٨ .

(٩٤) أخبار مجموعة ص٦٢ وحسين مؤنس : المرجع السابق ص ٣٤٧ .

(٩٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٢ .

(٩٦) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص٣٧ .

(٩٧) هم : عبد الرحمن بن معاوية الداخل ثم ابنه هشام الرضا ثم انبه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن بن الحكم ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخيه عبد الله بن محمد ثم حفيدة عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله .

(٩٨) المقرى . نفح الطبيب جـ١ ص٣١٩ .

(٩٩) مسالك الأبصار فى ممالك الأنصار ، جـ٤ ص٣١٣ .

(١٠٠) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٦ ص٣٨٤ .

(١٠١) ابن حيان : المقتبس تحقيق مكى ، ص٩٣ وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ص٨١ .

(١٠٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٦ ص٤٠٨ .

(١٠٣) ابن حيان : المصدر السابق ص٦ وابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٨٩ وابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ص٣٥ وابن أبى زرع : المصدر السابق ، ٩٦ .

(١٠٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٥ وابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٨٩ وابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ص٥١ .

(١٠٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٢٣١ ، ص٣٢٤ ، وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص١٠٠ وابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص٩٦ .

(١٠٦) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٣٤٣ ، وابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص١٠٢

(١٠٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ص٢٧٣ وابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص٩٦ .

(١٠٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص١١٩ .

(١٠٩) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص٩٧ .

(١١٠) ابن حيان المقتبس تحقيق إسماعيل العربى ، ص١٠٥ .

(١١١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٩ . محمد بن شريفة : المرجع السابق ، ص١٠٨ .

(١١٢) ابن حيان المصدر السابق ص١٦٨ ومحمد بن شريفة المرجع السابق ص١٠٩ .

(١١٣) المقتبس ، جـ٥ ، نشر شالميتا ، ص٦٧ .

(١١٤) البيان المغرب ، جـ٢ ص١٦٦ .

(١١٥) البيان المغرب ، جـ ٢ ص١٦٦ .

(١١٦) يذهب كل من ميلز فى كتابة سكة الأمويين فى الأندلس وجوايتاين فى كتابه مجتمع البحر المتوسط ، إلى أن الدينار كان يساوى فى العادة ٤٠ درهما وهو الأمر الذى يتفق مع ذكره ابن حيان وابن عذارى عن أن دينار قرطبة دخل أربعين درهما ، ويذهب ابن العطار (المصدر السابق ، ص٩) إلى ان معنى دراهم دخل أربعين " اختصار لفهم السامع والحقيقة أن تقول دخل أربعين ومائة فى مائة كيل " وأصل ذلك أن الدراهم كانت تجرى بالأندلس والمشرق وفى مصدر الإسلام كيل الدرهم درهم وخمسان ودراهمنا مجموعة فى الوزن تراطل منها مائة وأربعون درهما درهم كيلا فلذلك اختصر وقيل دخل أربعين " .

(١١٧) ابن حيان المصدر السابق ، جـ٥ ص٧١ وابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص١٦٧ - ١٧٨ .

(١١٨) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ص٧٨ .

(١١٩) ابن حيان : المصدر السابق جـ٥ ص١٣٤ وابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص١٩١ .

(١٢٠) كان بروز أهل قرطبة لصلاة الاستسقاء إلى مصلى المصارة أصلاً لكن نصر الخصى أثير الأمير عبد الرحمن الأوسط صرفهم عن مصلى المصارة إلى مصلى لقربه من قصره ، فلما هلك نصر الخصى كتب الفقيه عبد الملك بن حبيب إلى عبد الرحمن الأوسط بأن مصلى المصارة هو الأصل وأن البروز إليه أسهل على الناس وأصون لهم فأخذ عبد الرحمن الأوسط برأى عبد الملك بن حبيب وصرف صلاة الاستسقاء عن مصلى الربض إلى مصلى المصارة (ابن حيان المقتبس ، نشر مكى ، ص٤٠٦) لكن أهل قرطبة فيما يبدو صاروا يتبادلون البروز إلى المصليين .

(١٢١) ابن خيان : المقتبس ، نشر شالميتا ، جـ٥ ص١٦٥ وابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص١٩٩ .

(١٢٢) ابن حيان : المصدر السابق ، جـ٥ ص٢٥٩ .

(١٢٣) ابن حيان : المصدر السابق ، جـ ٥ ص٢٥٩ .

(١٢٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٢٥) نفس المصدر ، جـ٥ ص٣٣١ .

(١٢٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٣١٢ .

(١٢٧) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(١٢٨) نفس المصدر ، جـ٢ ص٢١٣ .

(١٢٩) نفس المصدر جـ٢ ص٢١٤ .

(١٣٠) عياض ، ترتيب المدارك جـ٢ ص٤٢ .

(١٣١) المرقبة العليا ، ص٧٠ .

(١٣٢) نفح الطيب ، جـ٢ ص١٠٨ .

(١٣٣) محمد حناوى : الأدوات الفلاحية الأندلسية ، مجلة الاجتهاد عدد ٣٤ - ٣٥ (١٩٩٧) ص ١٠١ - ١١٧ .

(١٣٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٣١ .

(١٣٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٣١ .

(١٣٦) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق الحجى ، ص١١٤ .

(١٣٧) نفس المصدر ، ص٦٦ .

(١٣٨) نفس المصدر ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١٣٩) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(١٤٠) نفس المصدر ، ص١١٥ ، ص١٤٥ .

(١٤١) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .

(١٤٢) نفس المصدر ص٢٠٧ .

(١٤٣) النباهى المراقبة العليا ، ص٤٨ .

(١٤٤) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٤ ، ص٤٦ .

(١٤٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٩٩ .

(١٤٦) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(١٤٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص٩٩ .

(١٤٨) عبد الواحد المركشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص٤٠ .

(١٤٩) البيان المغرب ، جـ٣ ص١٠٦ .

(١٥٠) نفس المصدر ، جـ٣ ص١٠٧ .

(١٥١) نفس المصدر ، جـ٣ ص١٠٥ .

(١٥٢) ابن حزم : طوق الحمامة ص١١٧ .

(١٥٣) جغرافية الأندلس وأوربا ، ص١٠٥ - ١٠٦

(١٥٤) ابن حزم : المصدر السابق ص٩٤ .

(١٥٥) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، جـ١ ص١٩ .

(١٥٦) ابن حيان : المقتبس نشر مكى ، ص٥ .

(١٥٧) أخبار مجموعة ص٦١ .

(١٥٨) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٧ .

(١٥٩) نفس المصدر ص١٣٢ .

(١٦٠) الخشنى : المصدر السابق ، ص١٠٣ .

(١٦١) نفس المصدر ، ص٢٧ .

(١٦٢) ابن بسام : الذخيرة ، جـ١ ص٢٨٩ ، ص٣٤٢ .

(١٦٣) نفس المصدر ، جـ ٢/ ٢ص ٥٥١ - ٥٥٢ .

مراجع البحث

١ - **ابن أبى زرع :**
" الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " الرباط ١٩٧٢

٢ - **ابن الأثير :** أبو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم
" الكامل فى التاريخ " بيروت / ب.ت

٣ - **ابن بسام :** أبو الحسن على
الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة
تحقيق / إحسان عباس بيروت ١٩٨١

٤ - **ابن بشكوال :** أبو القاسم خلف بن عبد الملك
الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس القاهرة / ١٩٦٦

٥ - **البكرى :** أبو عبد الله بن عبد العزيز
جغرافية الأندلس وأوربا
تحقيق / عبد الرحمن الحجى بيروت ١٩٦٨ .

٦ - **بوتشيس :** إبراهيم القادرى
أثر الأقطاع فى تاريخ الأندلس السياسى من منتصف القرن الثانى الهجرى حتى ظهور الخلافة الرباط / ١٩٩٢

٧ - **ابن حزم :** أبو محمد على بن أحمد
طوق الحمامة فى الألفة والألاف
تحقيق حسن كامل الصيرفى القاهرة / ١٩٦٤

٨ - **حسين مؤنس :**
- فجر الأندلس مدريد / ١٩٥٩

- معالم تاريخ المغرب والأندلس القاهرة / ١٩٨٠
- رحلة الأندلس القاهرة / ١٩٦٣

٩ - **الحميرى** : محمد بن عبد المنعم
الروض المعطار فى خبر الأقطار
تحقيق إحسان عباس بيروت / ١٩٧٥

١٠ - **ابن حيان** : أبو مروان حيان بن خلف القرطبى
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس -
تحقيق محمود مكى بيروت / ١٩٧٣
- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس
تحقيق عبد الرحمن الحجى بيروت / ١٩٧٣
- المقتبس جـ٥ -
تحقيق / شالمينا وزملائه - مدريد / ١٩٧٩
- المقتبس فى تاريخ الأندلس
تحقيق إسماعيل العربى الدار البيضاء / ١٩٩٠

١١ - الخشنى أبو عبد الله محمد بن حارث أسد القيروانى
قضاة قرطبة القاهرة / ١٩٩٦

١٢ - **ابن الخطيب** : لسان الدين
أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام
جـ٣ تحقيق / ليفى بروفنسال القاهرة / ١٩٦٦

١٣ - **أبو الخير الأشبيلى** :
كتاب الفلاحة
تحقيق جوليا . م . كاربازا مدريد / ١٩٩١

١٤ - **ابن دحية** : أبو الخطاب عمر بن الحسن

المطرب من أشعار أهل المغرب

تحقيق / مصطفى عوض الكريم الخرطوم / ١٩٥٤

١٥ - **ابن رشد :**

الآثار العلوية

تحقيق سهير أبو وافية وسعاد عبد الرزاق القاهرة / ١٩٩٤

١٦ - **ابن سعيد** : على بن موسى

المغرب فى حلى المغرب

تحقيق / شوقى ضيف القاهرة / ١٩٥٣

١٧ - **ابن سهل** : القاضى أبو الأصبغ عيسى الأسدى

وثائق فى شئون الحسبة (مستخرج من الأحكام الكبرى)

دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف القاهرة / ١٩٨٥

١٨ - **السيد عبد العزيز سالم :**

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس بيروت / ١٩٦١

١٩ - **عبد الله أنيس الطباع :**

القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامى الدانية

بيروت / ١٩٨٦

٢٠ - **عبد الواحد المراكشى** : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

تحقيق / محمد سعيد العريان وزميله القاهرة / ١٩٤٩

٢١ - **ابن عبدون** : محمد بن أحمد التجيبى

رسالة فى الحسبة (من ثلاث رسائل أندلسية)

تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٩٥

٢٢ - **ابن عثمان المكناسى** : أبو عبد الله محمد ين عبد الوهاب

الاكسير فى افتكاك الأسير

تحقيق / محمد الفاسى الرباط / ١٩٦٥

٢٣ - **ابن عذارى المراكشى :**
البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب
تحقيق / كولان وليفى بروفنسال بيروت عن ليدن / ١٩٤٨
٢٤ - **العذرى :** أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس الدلائى
نصوص عن الأندلس
تحقيق / عبد العزيز الأهوانى مدريد / ١٩٦٥
٢٥ - **ابن العوام :** أبو زكريا يحيى بن محمد أحمد الأشبيلى الفلاحة
نشره وترجمه إلى الأسبانية Don. Josef Antonio Banqueri
٢٦ - **عياض :** القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى
ترتيب المدارك وتقريب المسالك
تحقيق أحمد بكير محمود بيروت / ١٩٦٧
٢٧ - **الغزالى :** أبو حامد
أحياء علوم الدين
٢٨ - **الغرناطى :** أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلس
تحفة الألباب
تحقيق / جبريل فران المجلة الأسيوية / ١٩٢٥
٢٩ - **ابن العطار :** محمد بن أحمد الأموى
كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق شالميتا وكورنيطى
مدريد / ١٩٨٣
٣٠ - **ابن الفرضى :** أبو الوليد عبد الله محمد
تاريخ علماء الأندلس القاهرة / ١٩٦٦
٣١ - **ابن فضل الله العمرى :** شهاب الدين أحمد بن يحيى
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

- السفر الثانى ، مصورة عن خطية يازمة باغشلار رقم ٢٢٢٧ / ١٥ - السلمانية / استانبول - السفر الرابع ، مصورة عن خطية أحمد الثالث رقم ٢٧٩٩٧ / ١٥ - طوبقابى سراى / استابنول

٣٢ - **القزوينى** : زكريا بن محمد بن محمود

آثار البلاد وأخبار العياد بيروت / ب . ت

٣٣ - **ابن القوطية** : أبو بكر محمد بن عمر

تاريخ إفتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإبيارى

بيروت / ١٩٨٢

٣٤- ٣٣ - كولان :

الأندلس (كتب دار المعارف الاسلامية . ٢)

بيروت / ١٩٨٠

٣٥ - **المالقى** : أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبى

الأحكام ، تحقيق الصادق الحلوى بيروت / ١٩٩٢

٣٦ - **مجهول** :

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس

تحقيق إبراهيم الأبيارى القاهرة / ١٩٨١

٣٧ - **محمد حناوى** :

الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر " كتب الفلاحة نموذجاً "

مجلة الإجهاد عدد ٣٤ - ٣٥ (١٩٩٧) ص ص١٠١ - ١١٧

٣٨ - **محمد بن شريفه** :

مقدمة كتاب أمثال العوام للزجالى فاس / ١٩٧٥

٣٩ - **المقرى** : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى

نفح من غصن الأندلس الرطيب

تحقيق / محمد البقاعى بيروت / ١٩٨٦

٤٠ - **ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم**
لسان العرب بيروت / ١٩٨٦

٤١ - **النباهى : أبو الحسن على بن عبد الله**
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا بيروت / ب . ت

42- Dozy, (R.),
Supplement aux dictionnaires arabes, Beyrouth 1968.

43- EMILIO MITRE,
La Espana medieval sociedades, culture, Madrid 1979.

44- Levi provencal,
--- Histoire de,l Espagne Musulmane Tom3. Paris 1967.
--- L Espagne musulmane aux X eme siecle. Paris 1967.

45- Luis Suarez F ernandez:
Historia de Espana, Antigua y M edia. Madrid, 1976.